





FROM THE
LIBRARY OF
THE
AMERICAN UNIVERSITY
IN
CAIRO

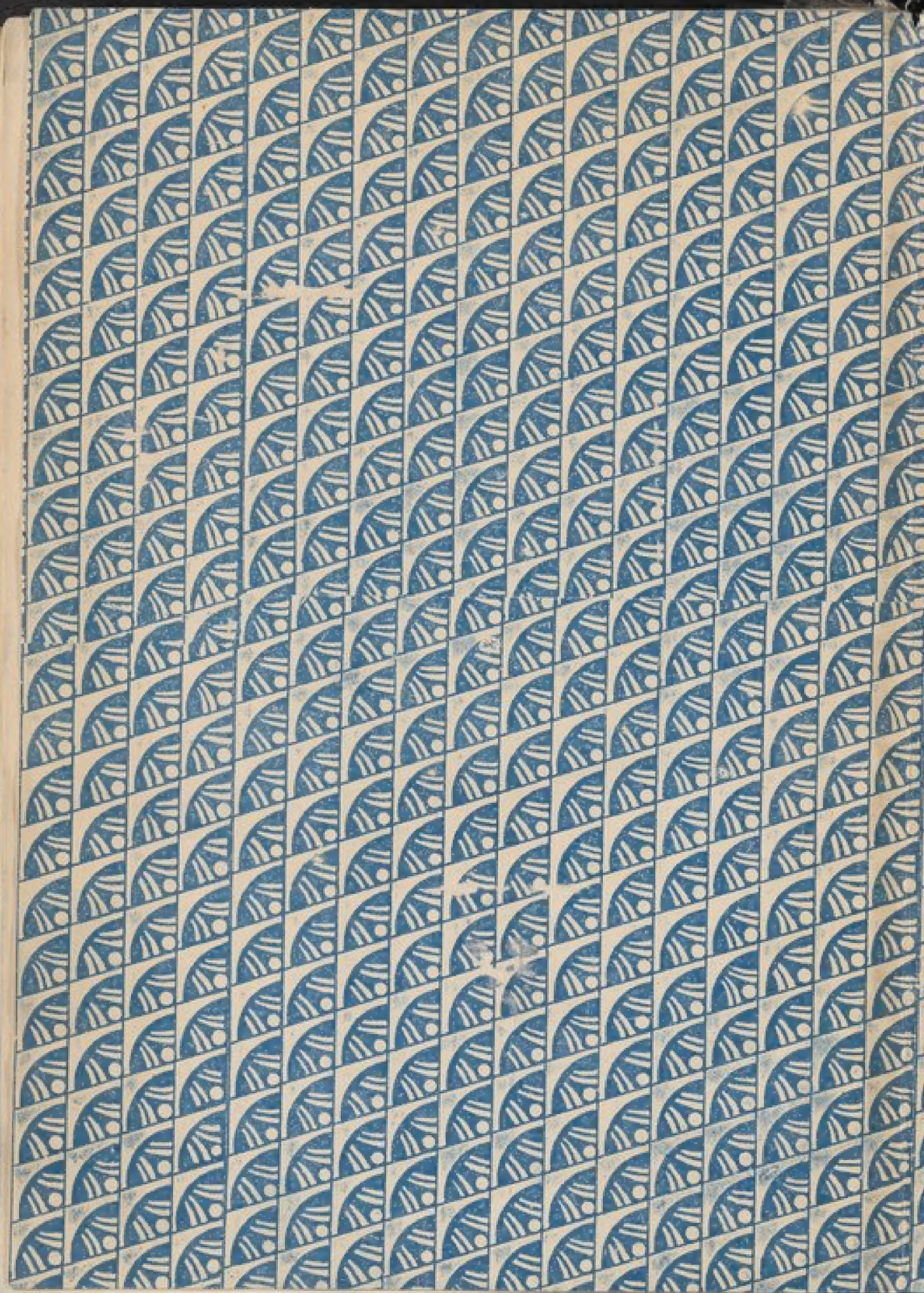
Libr
The Americ
at Cairo

من مكتبة
الجامعة الأمريكية بالقاهرة

Bapp is the man that
findeth wisdom and
the man that getteth
understanding .+ .+ .+

PROVERBS 3-13

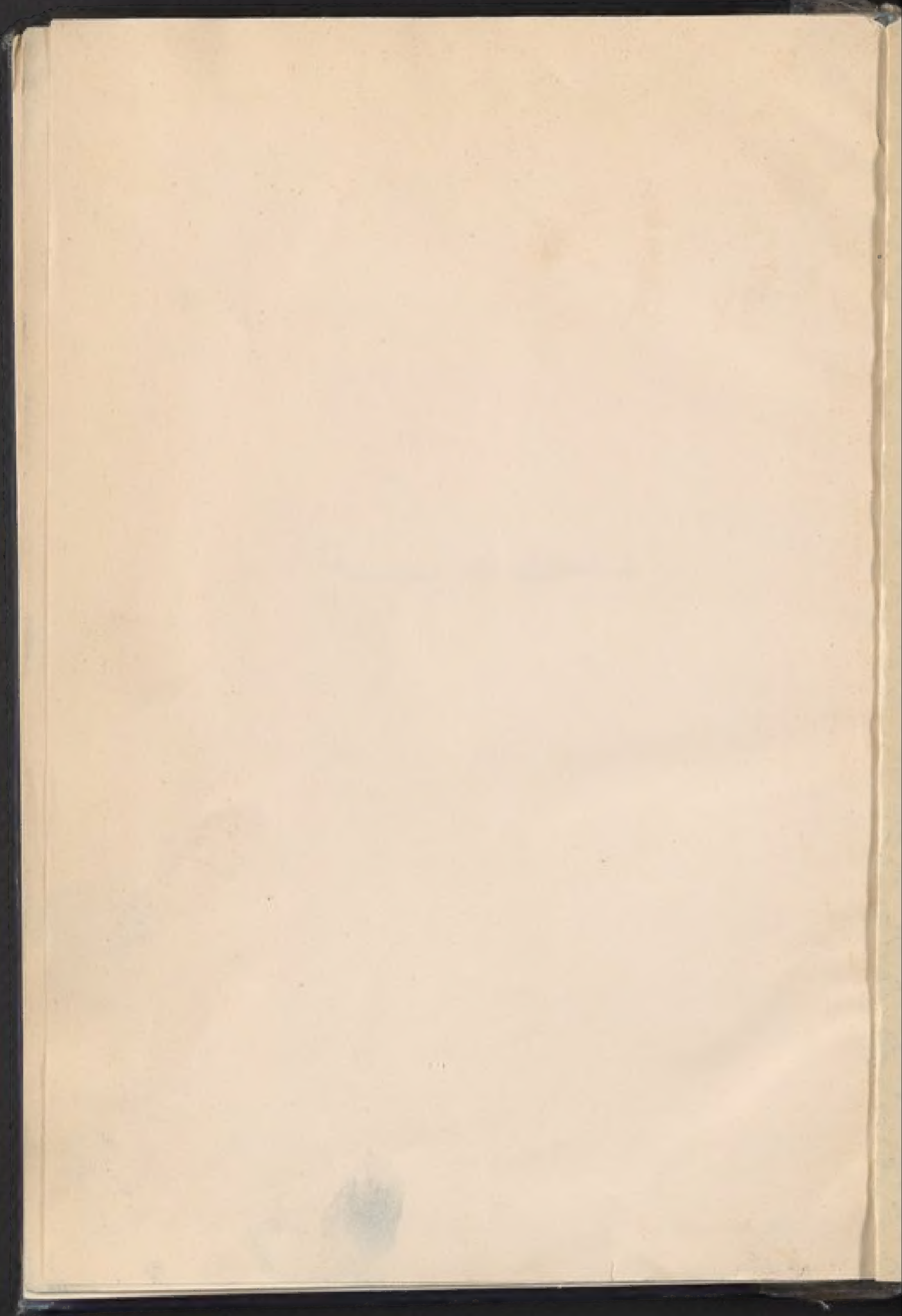
Ex libris datis
in memoriam
James Polk McKinney
Pittsburgh, Pennsylvania



Y

ال







مباحث عريضة

حقوق النشر والترجمة
محفوظة للمؤلف

بشرفارس

دكتور في الآداب من جامعة باريس

DS

57

F37

1939

مباحث عربية

مطبعة المعارف ومكتبة بصر

١٩٣٩

مكتبة الامبار المصرية
١٧ هارم نسر النيل مصر

٤١٠
ف.ب. م.ب.

للمؤلف

في اللغة العربية :

- "قطعة لحم" قصة فازت بجائزة مجلة "الجلال" في «مباراة القصة المصرية» ، ونشرت فيها ، أغسطس ١٩٣٤ . ثم غلها Herbert Melzig إلى اللغة الألمانية ، ونشرت في صحيفة *Frankfurter Zeitung* ، ١٧ سبتمبر ١٩٣٧ .
- "مفرق الطريق" مسرحية في فصل واحد ، مع توطئة في الطريقة الرمزية المستحدثة . مصر ١٩٣٨ (مطبعة المعارف ومكتبتها) .

في اللغة الفرنسية :

- "العرض عند عرب الجاهلية" ، بحث في علم الاجتماع . *L'Honneur chez les Arabes avant l'Islam*, Paris 1932, Adrien-Maisonneuve, éditeur . رسالة لشهادة الدكتوراه في الآداب من جامعة باريس (السربون) . باريس ١٩٣٢ .

- "المشكلات التي تعرض للكاتب العربي الحديث من جانب اللغة والثقافة والاجتماع ، ولا سيما في مصر" . مبحث ألقى في معهد الدراسات الإسلامية بجامعة باريس ، ثم نشر في "مجلة الدراسات الإسلامية" *R. E. I.* . باريس ١٩٣٦ .
- "مباحث" نشرت في "تكملة دائرة المعارف الإسلامية" *E. I., Supplément* الخارجية في لِيُون ، ١٩٣٦ . وقد نُقلت هذه المباحث إلى اللغتين الإنجليزية والألمانية وظهرت بهما في القُرْ ذاتها .

معدة للطبع :

في اللغة العربية :

- "مجموعة قصص" .
- "رسالة في الأدب العربي الحديث" .

في اللغة الفرنسية :

- "مجرى الأدب العربي في مصر لسنة ١٩٣٨" ، من الناحية الاجتماعية . مبحث ألقى في مؤتمر المنشرقين المنعقد في بروكسل ، سبتمبر ١٩٣٨ .

"مفرق الطريق" .

20712

إلى أنبعاث الروح العلمي الخالص

في مصر والشرق العربي

ب . ف



المشمّل

١٤ — ٩	نصدير
١٨ — ١٥	بيان

استطلاع^(١)

٣٠ — ١٩	مسلمون في فنلندة مع سبع صور
---------	-----------------------------

في علم الاجتماع

٥٦ — ٣١	مكارم الأخلاق
٧٤ — ٥٧	تعبير أخاذ يرجع إلى الأخلاقيات التمهيدية
٨٤ — ٧٥	المروءة
٩٢ — ٨٥	كلمة رمزية
	التفرد والتماثل عند العرب
	مراجعة أقوال المستشرقين
	البناء الاجتماعي عند عرب الجاهلية

في اللغة

١١٦ — ٩٣	تاريخ لفظة الشرف
١٢٣ — ١١٧	محاولة
١٣١ — ١٢٤	بعض الاصطلاحات
	في الموسيقى والفلسفة
	بعض المخطوطات العربية
	لاستخراج مصطلحات مختلفة
١٣٣	لحق الكتاب

المصادر :

١٣٦ — ١٣٤	مسرد المخطوطات
١٤٢ — ١٣٧	مسرد الاصطلاحات والألفاظ الخاصة
١٤٤ — ١٤٣	مسرد الاصطلاحات والألفاظ الخاصة لغير اللغة العربية

المستدرک :

١٤٧ — ١٤٥	المضاف
١٤٨	القائت

(١) enquête, inquiry



تصدير

عَظَمَنِي إِلَى صِنَاعَةِ الْكِتَابَةِ - حُرِسَتْ أ - مِيلَ دَفِينِ إِلَى
قَوْلِ الشَّعْرِ وَسِيَاقَةِ الْقَصَصِ وَمَعَالِجَةِ النِّقْدِ . ثُمَّ إِنَّهُ اتَّفَقَ لِي ذَاتَ
يَوْمٍ أَنَّ فُطِنْتُ إِلَى خِيفَةِ بَضَاعَتِي ، إِذْ وَجَدْتُ شَعْرِي لَا يَسْفِرُ
عَنْ طَرِيفٍ وَنَثْرِي لَا يَكَادُ يَرْجِعُ إِلَى مَحْصُولٍ . فَأَعْتَزَمْتُ الْاجْتِهَادَ
وَابْتَغَيْتُ النُّزُولَ إِلَى مُضْطَرَبِّ الْحَيَاةِ قَبْلَ التَّأْلِيفِ . فَطَمَحَ بِصَرِي
إِلَى بِلْدَانِ الْغَرْبِ . وَلَكِنْ أَهْلَى عَنْهَا رَدَّوهُ . فَاسْتَحْكَمَ الشَّقَاقُ
بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ حَتَّى كَانَ يَوْمٌ يَتَسَوَّأُ فِيهِ مِنْ زَجَرِي ، فَضَيْتُ
إِلَى بَارِيسَ .

فِي بَارِيسَ اسْتَدْرَكْتُ مَا فَاتَنِي فِي مِصْرَ مِنَ التَّحْصِيلِ أَوْ كَدْتُ ،
وَقَدْ جَذَبَنِي الْفَلَسَفَةُ خَاصَّةً فَأَقْبَلْتُ عَلَى فُرُوعِهَا . وَكُنْتُ فِي ذَلِكَ
الْعَهْدِ سَعِيداً بِهَا وَشَقِيئاً فِي آنَ ، ذَلِكَ أَنِّي كُنْتُ أُؤَدِّبُ ذَهْنِي مِنْ
طَرِيقِ الْعِلْمِ لَا مِنْ بَابِ الْأَدَبِ الصَّرْفِ . وَالْآنَ أَذْكَرُ كَيْفَ
جَاهَدْتُ ذَهْنِي نَفْسَهُ حَتَّى يَنْفُضَ مِنْ عُنَادِهِ فَيَنْقَادَ لِلْأَسَالِيبِ الْجَافَةِ

وينشط المسالك الوضعية . وكم مرة نبذت يدي مجلدات علم النفس
وتاريخ الأدب والمنطق والإلهيات وغير ذلك من الفنون الكالحة ،
لتلمس ديوان شعر أو سفر قصص أو مسرحية . . . أو القلم لترقم
أياتنا ونحط رسالة . ثم كم حُرقتي قدامي في السربون و « الكوليج
دي فرانس » عن مدرجات الفلسفة وما يأخذ مأخذها لتطرحني
في مدرجات الأدب وتاريخ الفن . ثم كم فررت من حجرتي ، وقد
خفقتها الكتب والكراريس ، أطلب في الطرق والقهوات مذاهب
المبت وما وراءها من إحساس غيف بصرك في مكانك ،
سرك أو حزنك . . .

انتهى التحصيل بنيل الإجازة فوجبت العودة . ولكن هل
ينتهي العلم ؟ وهل تُترك باريس بين خبز مُر ول صباخا وشواه رُشراش
مساء ؟ بقيت للحصول على شهادة الدكتوراه . فبرزت لي عدة
موضوعات تصلح لرسالة ، فاخترت بعد التأمل ما يساير نزعات
نفسى ، اخترت هذا الموضوع : « العرض عند عرب الجاهلية » .
والذى ساقني إليه ولع قديم بكل ما يتصل بلغة العرب ، فاندثرت
إلى معرفة أحوال القوم واستطلاع آثارهم : باعشان ، أحدهما وجداني
والآخر عقلي .

من ذلك الحين هويت العلم للعلم ، لأني قصدته من جانبٍ
مستحب ، ثم لأني كنت أرجع من أجله إلى كتب الأدب ،
نحو دواوين الشعر الجاهلي والأموي ورسائل الجاحظ وكتاب الأغاني
وغيرها ؛ حتى إنني لما أرحت القلم من عناء الرسالة أصبته إلى
التأليف العلمي يرف ، من بعد ما استمعى زمناً . على أنه ظلّ
طوال إقامتي بباريس أخصاً أدب ، لأنّ صاحبه لم يتحول قط
— في دخيلة نفسه — عن هواه الأول .

ولما قفّلت إلى مصر تنازعني فيها الأدب والعلم . فأردت أن
أرضي الخصمين ، إذ قلت لقلمي ينقلُ إلى العربية الرسالة التي كان
سطرها في باريس ثم ينطلق إلى الأدب . قلت ، والمقادير شغلت
القلم عن إتمام النقل . وما كنت لأغضب مما حدث وفي تقديري
أتى لا أزال إلى دقائق العلم فقيراً . فانتقلت إلى التحصيل طبع
النفس ، فرحاً بالتقصي في التتقيب . فشخصت ثانيةً إلى باريس ،
ولزمت دار الكتب الوطنية ، ثم رحلت إلى ألمانيا حيث لبثت
زهاء سنة أنظر في طرائق علمائها إلى جانب مناحي أدبائها .
ثم قذف بي الاغترابُ في سبيل التلقي — آخر ما قذف حتى
اليوم — إلى لندن .

في ذلك العهد الثاني من الاجتهاد بدا لي أن أكتب مباحث ،
بعضها تكملة لمسائل كنت عرضت لها في الرسالة أو أشرت إليها ،
وبعضها أجنبي عنها . وهذه المباحث أجمعها هنا والجرأة تغمر
صدرى . والحق أن طائفة منها قد نشرت باللغة الفرنسية
في أوربة أو بالمرية في مصر . غير أنك نصيبها في هذا الكتاب
وقد رُزقت قسطها من التهذيب ثم الحذف والزيادة ، بحيث إذا
أردت التعويل فعلى هذه المجموعة يكون .

ولم يدُر في الحسبان أني ناشر تلك المباحث قبل الرسالة .
إلا أن هذه لا تزال موضع مراجعة ، فضلاً عن أنها متشعبة
المطالب . فوددت أن أنزل تلك المباحث المختصرة منزلة النوطة
لها من حيث المنهج والأسلوب :

أما المنهج ، فالاعتماد على المشاهدة دون الفرض ، والتحقيق
دون التخيل ، والموضوعية دون الذاتية ، وإقامة الدليل دون
القناعة بالمقبولات والمسلمات ، ثم الذهاب من المركب إلى البسيط
ومن الخاص إلى العام ؛ مع تسليط النقد النافذ — من جانبيه
الخارجي والباطني — على الوقائع ، من حيث إنها أشياء طبيعية
مبدولة للحس ، لا أمثال عالية ولا معاني منتزعة من المحسوسات

مجردة في الذهن أموراً كليةً عامةً ؛ ومع نبذ التشيع للآراء من
مرجحة وقبليّة ، فلا إثار هوّى ولا تعصب لأحد على أحد ؛
ومع ردّ تلك الواقعات إلى مصادرها ، من طريق الوصف المباشر
أو الاستشهاد بالنصوص الصريحة ، حتى لا يرسل الكلام فيضيع
حظه من التثبت ؛ ومع التحري في البحث ، سعيّاً في الدقّ من
الحقيقة ، بفضل المنطق ذي العرّض البين والسلك المتصل
والاستدلال القويم والنظر الصادق على غير استكراه ولا تحكّم
ولا مكابرة ؛ ومع إثبات ما أتى به العلماء العاملون من قبل بالاستناد
إليهم أو الاعتراف بجهدهم ، خروجاً من ظنّة التلصص والسطور .

وأما الأسلوب فضارب إلى الإنشاء العلمي . وبه يكون اللفظ
حرّاً ، والعبارة واضحةً ، والإطّباب بقدر ، والجملة كأنّها قائمة برأسها ،
والنسق متتابعاً بتجاوب الأغراض ؛ من غير تزويق ولا تكلف -
فلا ألفاظ تنهال ولا فقر تحبّر - حتى إن الدائب في قراءة الأدب
قد يقول : هذا جفاء وهذا نبوّ ! غير أن الإنشاء العلمي إذا
حسن به أن يكون سهلاً - على أن يترفع عن الركاكة والقلق -
فإنما يحقّ له أن يعتمد إلى تراكيب وألفاظ لا مرجع لها في المنقول
من متن اللغة الأولى ، بل وضعها الأئمة من المولدين اصطلاحاً
يوم ألفوا في صنوف العلوم وضروب الفنون . وقد يقصر ما وُضع

عن سدّ حاجات التعبير العلمى لهذا العصر ، أو ربما غاب بعض
ما وُضع عن العالم المنشئ ؛ فلا بدّ إذن من الاستحداث فى مفردات
اللغة وألوان الأداء . وإِنما التّبعة فى الاستحداث على العلماء
المنشئين وحدهم .

على تلك السّنة أُجريت تأليف هذه المباحث ؛ ولعلّى صنعت
شيئاً . وإنّ أنا زُغمت عن الخطّة المرسومة ، فأخطأت وجه
الصواب - وكثيراً ما أخطأته - فمما يزعمه أُملى أن أُرَدّ إليها
وأنّ يُتجاوز عني .

بيان

١ - نذكر المصادر على الوجه الوافي ، أول ما تذكر ، في كل مبحث : اسم المؤلف وعنوان الكتاب وتاريخ الطبعة (وموضع الطبع إذا تنازعت الكتاب طبعتان أو أكثر) ورقم الجزء ، والصفحة (والسطر إذا اقتضت الحال) . ويُذكر المصدر الواحد على الوجه الوافي إذا انتقل من مبحث إلى مبحث ، لأن القارئ قد يقرأ مبحثاً دون مبحث .

٢ - كتابة الكلمات الإفرنجية (والأعجمية عامة) مُشكلة من المشكلات : ولا نعني الكلمات التي نريد إلحاقها بالأوضاع العربية من طريق الإبدال والتحريف حتى نصير كأنها منها (نحو : الساذج والدرهم قديماً ، والظفون والبشفية حديثاً) ، بل نعني الكلمات التي تقصد حكايتها على أصل مخارج حروفها ونبرات حركاتها (نحو أسماء الأعلام وأسماء الكتب) . وعلة المشكلة أن بعض الحروف والحركات الرومانية لا تجد نظائرها في هجائنا المشهور ، كما أن بعض الحروف والحركات العربية لا تجد نظائرها في هجاء الروماني . وقد تدارك المستشرقون هذا النقص بوضع حروف وحركات معلومة ، متداولة فيما بينهم ، تؤدي تلك الحروف والحركات العربية . وهذه طريقة يسميها القوم transliteration (أي نقل الحروف) .

ومما يقبض الصدر أننا لا ننظر بمثل هذه الطريقة في لغتنا حتى اليوم ، مع حاجة علمائنا وكتابنا إليها ، ومع وجود جماعات من حملة العلم وأهل اللسان^(١) . ولذلك تحجبت ما استطعت رسم الكلمة الإفريقية بالحروف العربية ، بل رسمتها بالحروف الرومانية ؛ وإن اتفق لي أن أرسنها بالحروف العربية أردقتها بالأصل أي بالكلمة مرسومة بالحروف الرومانية . ويغلب ذلك على أسماء الأعلام والبلدان ؛ وأما أسامي الكتب وما يجري مجراها فقد كتبها بالحروف الرومانية ، وقليلاً ما نقلتها إلى العربية .

٣ - في سياق تليحت ألقاظ اصطلاحية technique, technical وخاصة typique, particular . وقد أثبت ما ينظر إليها في الفرنسية ثم الإنجليزية والألمانية أحياناً . وبعض هذه الألقاظ مما وقع إلى من طريق المطالعة أو الاجتهاد . وبعضها مما استنبطه المحدثون أو أحيوه . ولم أر حاجة إلى تمييز ما أثبت به مما أتى به غيري^(٢) ، إذ المقصد إغناء لغتنا سواء من هنا أو من هنا . وفي نيتي أن أفرد لأمر طائفة من الاصطلاحات (الفلسفية والموسيقية واللغوية) مبحثاً آخر يجمع بين الاستقصاء الممكن والتفصيل المرضي ؛ ولذلك اكتفيت في هذا الكتاب بإدراج أجل الاصطلاحات شأنها في جدول خاص .

(١) قد يظن ابن خلدون من زمن بعيد إلى ضرورة هذه الطريقة (" مقدمة " بيروت ١٩٠٠ من ٣٤) . ومع من بعده إبراهيم اليازجي (مجلة " الضياء " مصر ١٩٠٠ السنة ٢ من ٥١٦) وأنتاس مارى الكرملى " رسالة في الكتابة العربية المتقدمة " بغداد ١٩٣٥ من ١٧ - ٢٠ . وأخيراً الشيخ شوقي أمين قال : إن مجمع نواد الأول لغة العربية عالم هذا الموضوع في دورته الرابعة والخامسة (١٩٣٧ - ١٩٣٨) .

(٢) على أن أكثر الاصطلاحات التي أثبت ما ينظر إليها في اللغات الأجنبية مما أثبت به .

٤ - تفسير الرموز :

سو : سورة من القرآن .

آ : آية من القرآن .

ج : جزء .

ص : صفحة .

س : سطر .

ش : بيت من الشعر .

(ح) : الحاشية لا المتن .

ط : طبعة .

هـ : (سنة) هجرية .

خ : (نسخة) مخطوطة (أو كتاب مخطوط) .

ذ : الكتاب ذاته (أى الكتاب المذكور في المرجع السابق توثاً)

ن : المؤلف نفسه (أى المؤلف المذكور في المرجع السابق توثاً)

ك : الكتاب المذكور قبل المؤلف .

ض ك : الموضع المذكور قبل من الكتاب أو من الكتاب المتقدم ذكره للمؤلف .

ى : وما يلي ذلك (مثلاً سنة ١٩٠٠ ى = ١٩٠٠ و ١٩٠١ :

ص ١٠ ى = ص ١٠ و ١١ ؛ س ٥ ى = س ٥ و ٦) .

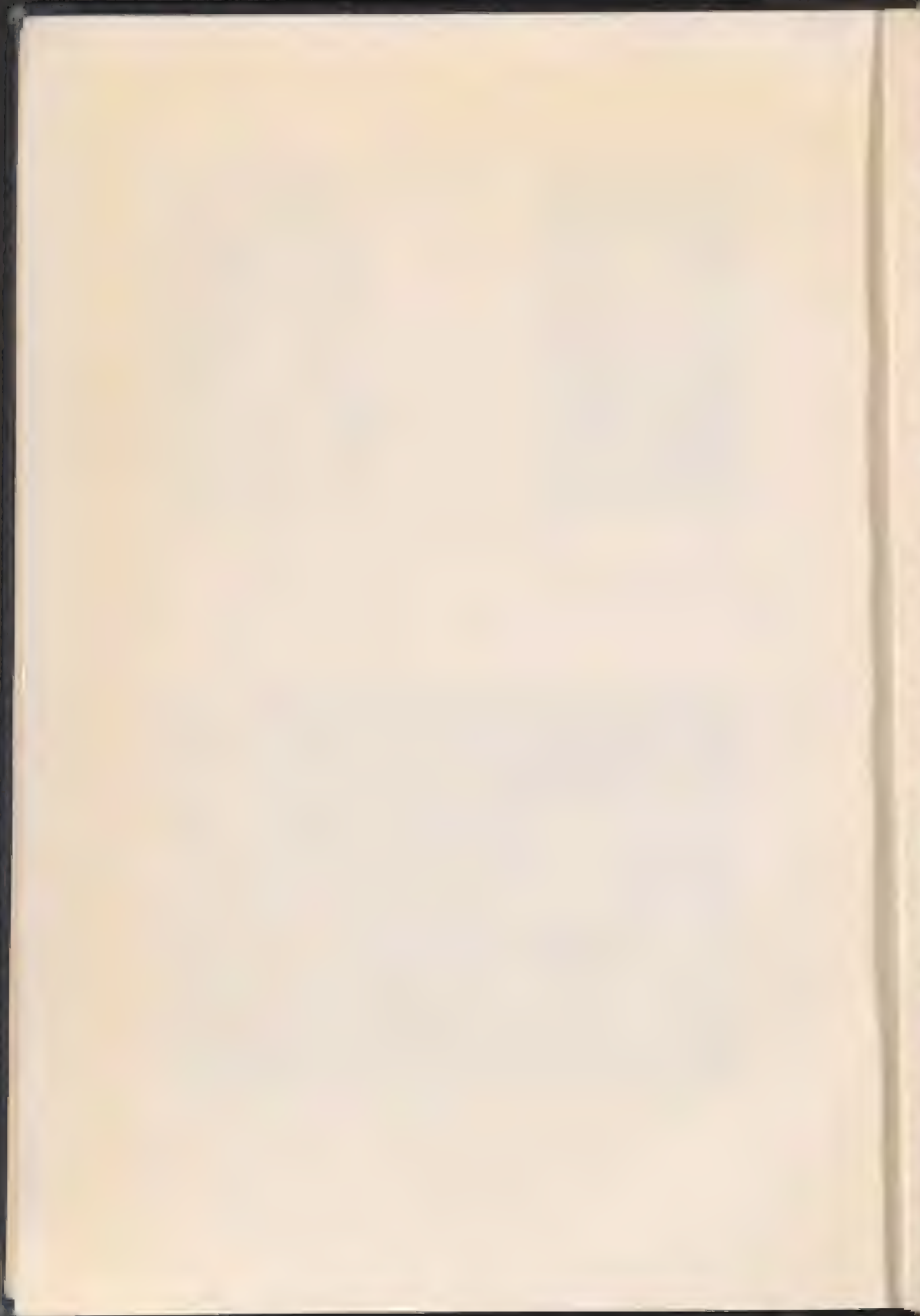
ى : وما يلي ذلك (مثلاً سنة ١٩٠٠ ى ى = ١٩٠٠

والسنوات التي تليها ؛ وقس على هذا .) .

- م : مكررة (مثلاً ص ٥ م من المخطوطة) .
 ظ : انظر (نصّ كذا) ، (بمعنى اطلب وراجع) .
 ز : وازن (بين النصين ، للتقريب أو المقابلة أو المعارضة)
 قبل : ما سبق من الكلام .
 بعد : ما يأتي من الكلام .
 تحت : أسفل الصفحة .
 فوق : أعلى الصفحة .
 محذوف : نص محذوف (من مخطوطة أو كتاب مطبوع) .
 مزيد : نص مزيد .
 رواية : رواية مختلفة (للنص الواحد) .

٥ - إيضاح العلامات :

- بين هاتين العلامتين يقع عنوان كتاب أو مبحث أو مقالة
 أو فصل أو اسم مجلة .
 « » بين هاتين العلامتين يقع النص المقطوع بحروفه
 citation, quotation . وأما ما يقع في مجرى النص بين
 هاتين العلامتين () فإشارة يزيد بها مؤلف هذا الكتاب ،
 وأما ما يقع بين هاتين العلامتين [] فتصويب من عنده .
 تقع هذه العلامة بين اسم علم وتاريخ فتدل على الوفاة .
 والتقويم المتبع في تاريخ الوفاة هو الهجري ، إلا إذا عيّن
 التقويم المسيحي .
 (؟) تعقب هذه العلامة ما فيه شك أو خفاء .





السيد ابراهيم عريف الله
أمين سر « الجمعية الإسلامية بفنلندة »



السيد فيلي أحمد حكيم
الإمام



أسرة السيد زهور طاهر
رئيس « الجمعية الإسلامية بفنلندة »

مسلمون في فنلندة

تمهيد

رحلتُ ، صيف سنة ١٩٣٤ ، إلى بلاد الشمال ، وليت شهرًا وبمض شهر فنلندة . ولشد ما دهشت لما أخبرني أحد الفنلنديين الذين تعرفت بهم أن في بلده طائفة من المسلمين ؛ فاستزدته فلم يزد . فما زلت في بحثٍ حتى اتصلت بالمسيو سورافو SORAVUO من موظفي وزارة الخارجية هنالك . نفختُ لحاجتي — حفظه الله — ودفع إلى عنوان « الجمعية الإسلامية بفنلندة » في مدينة هِلْسِنْكِي Helsinki ، عاصمة فنلندة . فاجتمعت برئيس هذه الجمعية : السيد زهور طاهر ، وإمامها : السيد حكيم ، وبعض أعضائها ، غير مرة . وقد تقيتهم أصحاب أوجه طلاقة وأنفس منبسطة .

ولم أقتنع بالجلوس إليهم ، بل ذهبت إلى دكا كين أغنيائهم . وقد راعني دكان لبيع القرد ، وآخر لبيع المصنوعات الترفيئة ، وثالث لبيع الآثار الشرقية . ثم إن السيد زهور طاهر دعاني إلى داره وأذن لي في الدخول على أهله وقدم لي عشاءً شرقيًا : لحماً مشويًا وأرزًا .

ومن الأحاديث التي دارت بيني وبين القوم زهاء أسبوع خرجت رسالة وجيزة نشرتها في مجلة الدراسات الإسلامية^(١) ، لأخير العلماء بوجود هذه الطائفة الإسلامية في بلاد الشمال وأقنمهم على أحوالها .
واليوم أتت الرسالة إلى العربية . وكان بودي أن أزيد عليها ما جرى لتلك الطائفة منذ سنة ١٩٣٤ حتى سلقنا هذه . إلا أنني لم أرحل إلى فنلندة بعد رحلتي الأولى ، ولم أظفر من طريق الرسالة بشيء يدون .

وقبل نقل الرسالة أحب أن أخبرك أن في إسطنونية — وهي قطر آخر من أقطار الشمال على البحر البلطي — فئة من المسلمين متفرقة عنهم . وقد سمعت بأمرهم عند مروري بذلك القطر ، فحاولت أن أهتدي إلى بعضهم ولم أفليح . والعلة الأولى لهذا أن حكومة إسطنونية لم تهين لي أسباب الوصول إليهم ، خلافاً لما صنعت حكومة فنلندة . وعسى أن ينشر مستشرقو البلدان الشامية رسالة في تلك الفئة .

الرسالة

في الرابع والعشرين من شهر أبريل سنة خمس وعشرين وتسعمائة وألف ، أعلنت الحكومة الفنلندية أن الإسلام من الأديان المعترف بها في فنلندة ؛ وذلك بقرار وضعته لأجل المسلمين المستقرين بها^(٢) .

(١) *Revue des Etudes Islamiques* السنة ١٩٣٤ المجلد ١ ص ١ — ٨ باريس ١٩٣٤ .

(٢) نصيب هذا القرار بعد الرسالة

وهؤلاء المسلمون من « الترك — التتر » . وهم الضاربون فيما وراء جبال أورال . وقد هجروا إلى الشمال وحلوا بفنلندة عقب الثورة البلشفية في روسيا . وكان نفر من هؤلاء المسلمين يعرفون فنلندة من باب التجارة ، إذ كانوا ينفقون فيها سلعهم ولا سيما الساج ، قبل قيام الثورة . وعدد هؤلاء المسلمين — في شهر سبتمبر ١٩٣٤ — ستمائة وثمان وأربعون . وأسهم تزويد على المائة ، وعقدتهم منتثر في سبع عشرة مدينة وبلدة . والفئة الأكبرى منهم مقيمة بالعاصمة ، ثم بمدنيتين هما تيمبيري Tampere وتوركُو Turku .

وأما حرقهم الغالبة عليهم فتجارة القرو والمنسوجات . وفيهم جماعة من الأغنياء . والمتعارف عنهم أنهم أهل دعة في الخلق ، واجتهاد في العمل . وقد ظفروا إلا أقلهم بالجنسية الفنلندية ، من بعد ما كانوا من الروس . وتراهم يتمتعون بكل التمتع بالحقوق المبدولة للفنلنديين أنفسهم ؛ وذلك بفضل قانون حرية العقائد والعبادات السائر في فنلندة . ومن هذا أن أبواب الوظائف الحكومية غير موصدة في وجوههم .

إلا أن هؤلاء المسلمين يفتنون بعض الإفلات من الأحكام الفنلندية . وبيان هذا أن لهم إماماً تتم على يديه عقود النكاح وتسجل لديه المواليد والوفيات ، بحيث لا ينتهى خيرها إلى الحكومة سوى مرة في السنة على سبيل الإحصاء .

ثم إنهم يحمون حياة فيما شئ من الاستقلال . ذلك أنهم يؤثرون المصاهرة فيما بينهم ، محتفظين بحكم المير . غير أن نفرًا من المسلمين

تزوجوا فنلنديات مسيحيات ، فدخل بعضهم في الإسلام ؛ وأما اللاتي
أبين أن يسلن ، فقد وقع بينهن وبين بعولتهن شقاق من أجل الولد ،
لما يكون من اضطراب نشأته الدينية .

ويعنى هؤلاء المسلمون بتعليم أولادهم أصول الدين وتلقينهم مبادئ
القومية . ولهذا الغرض أنشأوا مدارس يتردد إليها الصبيان والصبايا
مرتين في الأسبوع أو ثلاثاً ، ليتخرجوا في أدب الإسلام وتاريخه ، ويقرأوا
أخبار الترك ، ويتلوا القرآن باللغة العربية ، ويحفظوا منه آيات الصلاة .
وأما لغة التعليم فهي التركية ؛ وحروف هجائها هي الحروف « التركية —
اللاتية » التي وُضعت وشاعت بأمر مصطفى كمال . وأما العربية فلا علم
للأحداث إلا بحروفها وتجويدها .

وهذه المدارس معدودة ؛ فواحدة في هلسنكي وأخرى في تمبيري
تعملان نسة أشهر في السنة . وسائر المدارس قائمة في مدن عدد
المسلمين فيها قليل . ولذلك لا تعمل سوى ثلاثة أشهر ، فينتقل المعلمون
من هذه إلى تلك على مدار السنة .

ويُضاف إلى مسعى المدارس أن المسلمين أخذوا بنظام المحاضرات .
وتتناول هذه موضوعات متنوعة : الدين ، والقضية القومية (أي التركية
لألفنلندية) ، والتاريخ « التركي — الإسلامي » . والمحاضرون هم
معلمو المدارس ، أو من يجوز بفنلندة من المسلمين عامة والترك خاصة ، سياحاً .

هذا وقد آلف إبراهيم عريف الله - أمين سر « الجمعية الإسلامية الفنلندية » - رسالة باللغة الفنلندية تتصل بالدعاية القومية^(٣) .

وليس هؤلاء المسلمين مرجع ديني معين . فقد استقلوا بأنفسهم عن دولة قازان منذ فرارهم من موطنهم عند قيام الثورة البلشفية . وأما قوميتهم ، فقد صرفوا هواهم عن روسية الجنوبية إلى أقرة . ودليل هذا أنهم أقبلوا على حروف الهجاء التركية المرسومة بالعلامات اللاتينية على ما أشرت إليه ، وأنهم يرقبون الحركة القومية في تركية ويقرأون صحفها والكتب الخارجة فيها ، وأنهم - فوق ذلك - يعظمون عيد الاستقلال التركي (التاسع والعشرين من أكتوبر) ، واليوم القومي (الثالث والعشرين من أبريل) . بقي أن في كل دار مسلحة - على ما قيل لي - صورة لمصطفى كمال .

ليس في فنلندة مسجد جامع . ولكن فيها ثلاثة مساجد صغيرة : أحدها في هلسنكي والثاني في تمبيري والثالث في توركو . وحيث لا يوجد مسجد يجتمع المؤمنون رجالاً ونساء في مسكن لصلاة الجمعة . غير أن النساء لا يذهبن جماعات إلى المسجد إلا في عيد الأضحى وعيد الفطر . والمسلمين إمام واحد يعولونه ، ومقره العاصمة : هلسنكي . غير أنه يقصد الحين بعد الحين إلى سائر المدن . فإذا غاب صلى بالناس من المسلمين المتفقهون في الدين .

(٣) نشرت سنة ١٩٢٣ في هلسنكي ، وعدد صفحاتها ٢٢ ، وعنوانها " ايڤول أورال " (في حركة استقلال الترك القيين بإيدل - أورال) .

وفي المولد النبوي يتلو المسلمون القرآن باللغة العربية ، ويخطب الإمام
فيهم باللغة التركية ، ويتم الأغنيا ، الولائم .

ولا يشرب المسلمون الخمر إلا في الندرة ، مع شدة البرد في البلاد
الشالية . ولا يُسَقَوْنَ خمرًا في الأعياد الدينية والوطنية على السواء .
وقد قيل لي في طبخة الجوز إن مسلمًا واحدًا لم يؤخذ بمحنة السكر من
عشرين سنة .

ولا يتشدد المسلمون في صوم شهر رمضان . ودليل هذا أن الصيام غير
واجب في شهرى يونيه ويوليه ، لطول النهار فيها . والمسلم إذن أن
يصوم شهرًا آخر إذا شاء ، تعريضًا .

ولم يحج بيت الله إلا مسلم واحد . وقد قيل لي إن أسباب الحج
هذا العهد مدعاة للقلق ، وإن الحجاج — على قول مسلمى التركستان —
يعاملون في أثناء رحلتهم إلى مكة « معاملة الحيوانات » (كذا) .

أما حرية المسلة فتكاد تعدل حرية المرأة الفنلندية . فهي إذن على
جانب عظيم من الاستقلال . إلا أن المسلمين أكدوا لي أنها لا ترقص
مع فنلنديين ، ثم زادوا في هجة تغلب عليها الكتابة : « هذه حال
قد تزول » .

وعلى حسب القانون الفنلندي لا يحق للمسلة أن تتزوج وهي دون
السابعة عشرة . وأما الخطبة فتجرى على أسلوب الخطبة الفنلندية .
غير أنى أجهل هل تبلغ مداها الأقصى — أعنى للامسة قبل العقد —
على نحو لون شائع من ألوان الخطبة في بلدان الشمال .



ظاهر دكان السيد زهور طاهر



زفاف بنت الإمام
(الملبون فيه مجتمون)



قرار

من جانب مجلس الحكومة الفنلندية في إثبات الطائفة الإسلامية المقيمة
بفنلندا في سجلات الطوائف الدينية (١) .

هلسنكي

٢٤ أبريل سنة ١٩٢٥

أخبر السيوفيلي أحمد حكيم والسيو عمر عبد الرحيم المقيمان
بهلسنكي وغيرهم من المسلمين ، عددهم خمس وعشرون مقيمون بهلسنكي
ومائر القطر ، مجلس الحكومة الفنلندية أنهم أنشأوا جمعية دينية
اسمها « الطائفة الإسلامية بفنلندا » ، مستندين إلى الفقرة الثالثة عشرة
من قانون حرية العقائد والعبادات . ومقر هذه الجمعية في هلسنكي ،
ثم لها لجنة أسماء أعضائها فلان وفلان .

ومع هذا القرار بيان لأصول الدين الإسلامي ، وقانون الطائفة المذكورة :

أنشأ المسلمون جمعية دينية اسمها « الطائفة الإسلامية بفنلندا » .
وقد وضعوا بياناً لأصول الدين الإسلامي وقانوناً للطائفة المذكورة
وأقروها بالإجماع .

(١) قد نقل لي هذا القرار من اللغة الفنلندية إلى الفرنسية السيد عريف وامي ،

مدرس اللغة التركية وأصول الدين في المدرسة الإسلامية بهلسنكي .

١ - بيان أصول الدين

- ١ - التشهد .
- ٢ - إقامة الصلوات الخمس كل يوم ، والاجتماع يوم الجمعة في المسجد للصلاة .
- ٣ - الصوم شهراً في السنة .
- ٤ - على الأغنياء أن يعينوا الفقراء .
- ٥ - على الأغنياء أن يحجوا بيت الله .
- ٦ - الامتنال لأوامر القرآن .
- ٧ - المحافظة على صفاء الضمير وسلامة الجسد .
- ٨ - التزام الصدق والأمانة .
- ٩ - احترام النفس البشرية ومجانبة الأذى .
- ١٠ - أن يحب المسلم لغيره ما يحب لنفسه .

ب - قانون الطائفة الإسلامية بفنلندة

- § ١ - المسلمون المقيمون بفنلندة ، الخاضعون للأحكام المذكورة ، يكونون طائفة .
- § ٢ - الطائفة مكوّنة من أعضاء عاملين ، وأعضاء دون سن الرشد .
- § ٣ - لا يكون العضو عاملاً إلا إذا كان مؤمناً . وعلى كل عضو أن يعاون الطائفة على بلوغ غاياتها . ويُعيّن العضو باقتراح اللجنة التنفيذية .

- § ٤ — يبلغ الشاب من الرشد في الثامنة عشرة . ولا يعين عضواً عاملاً إلا إذا بلغ هذه السن ، وامتنحه الإمام في الدين .
- § ٥ — للأعضاء العاملين وحدهم الحق في تدير شؤون الطائفة .
- § ٦ — للطائفة أن تخلع العضو المرغوب عنه . وأنخلع يُقرَّ بأصوات ثلثي الأعضاء العاملين . والمخلوع أن يسأل اللجنة التنفيذية الفصل في أمره خلال ثلاثين يوماً من نسله كتاب الخلع . وفصل اللجنة نهائياً .
- § ٧ — يُعين اللجنة التنفيذية وسائر « هيئات » الإدارة أعضاء عاملون أمناً . ولا يشغل وظيفة الوعظ إلا الذين ترشحهم اللجنة التنفيذية .
- § ٨ — تجتمع الطائفة للصلاة يوم الجمعة . وأما أيام الأعياد الدينية والقومية فتحددها اللجنة .
- § ٩ — يرجع تدير شؤون الطائفة إلى الجمعية العمومية . وتجتمع اللجنة كلما اقتضى الأمر أو باقتراح مخطوط من قبل خمسة أعضاء . وبدعى الأعضاء الذين لا يقيمون بهلسكى برسالة مسجلة في مدة لا تقل عن أربعة عشر يوماً قبل اجتماع الجمعية العمومية . وبدعى الأعضاء القيومون بهلسكى في مدة لا تقل عن ثمانية أيام بإعلان يلصق بمنضلة معلومة في حجرة الاجتماع .
- § ١٠ — تجتمع الجمعية العمومية مرة في السنة (شهر فبراير) .
- § ١١ — نكل عضو صوت . وتُبرم القرارات بالأكثرية . وللرئيس أن يفصل إذا تعادلت الأصوات .

وأما القرارات الدينية فلا تُبرم إلا بأكثرية ثلثي الأصوات .
وتقدم الاقتراحات المتعلقة بالشؤون الدينية إلى اللجنة قبل الموعد
المضروب لاجتماع الجمعية العمومية بشهر .

§ ١٢ — لا يُقر إلغاء الطائفة إلا بأكثرية خمسة أصداس الأصوات .
وإذا أُلغيت الطائفة نُقل ما تملكه إلى جمعية الإحسان .

§ ١٣ — يفتح رئيس اللجنة جلسة الجمعية العمومية . ثم ينتخب رئيسها
أمين سرّها العام . ويراجع محضر الجلسة في أثناء انعقادها .

وتكوّن اللجنة التنفيذية من الإمام وأربعة أعضاء ينتخبون
عند انعقاد الجمعية العمومية ، ومدة قيام اللجنة ثلاث سنوات .
وتختار اللجنة من أعضائها رئيساً وأمين سرّاً عاما لسنة .

§ ١٤ — تجتمع اللجنة بدعوة من الرئيس . ويُبرم قراراتها إذا حضر ثلاثة
من أعضائها ؛ ويراجع محضر الاجتماع في أثناء الجلسة .

واللجنة موكول إليها تدير الشؤون الطائفية في سبيل مصلحة
الطائفة وحدها . ثم إنها مسؤولة عن رعاية ما تملكه وعن تنفيذ
جميع القرارات التي تبرمها الجمعية العمومية .

§ ١٥ — يمثل الطائفة — من الناحية القانونية — رئيس اللجنة . وإذا
غاب فالإمام يحل محله . والرئيس والإمام وحدهما حق التوقيع
باسم الطائفة .

- § ١٦ — كل عضو من أعضاء اللجنة مقمّم أمام محكمة الجنائيات يتخلع من اللجنة على الفور . والعضو المخلوع أن يسأل الجمعية العمومية النظر في شأنه . فتعقد الجمعية على عجل ، ولها أن تُبطل قرار اللجنة .
- واللجنة أن تخلع العضو الذي يهمل تأدية واجبه ، أو العضو الذي يحيا حياة غير صالحة ، وذلك بأكثرية ثلاثة أرباع الأصوات .
- § ١٧ — يقوم معاونون مطوّعون بتأدية نفقات الطائفة غير المنظورة . ولربما فُتِح باب الصدقة : فكلُّ وما ملكت يده .
- § ١٨ — أما حسابات الطائفة فتثبتها لجنة مراجعة في أثناء خمسة عشر يوماً .
- § ١٩ — يعقد نكاح المسلمين بحسب الشريعة الإسلامية . وبحسب هذه الشريعة تسيّر الشؤون الخاصة بالدين .
- § ٢٠ — يجري الدفن على حسب العرف الإسلامي . ويدفن النوى في المدفن الذي يختاره أهل الميت ، ويكون الدفن الإسلامي على الغالب .
- § ٢١ — لا بد من إخبار الإمام بالمواليد والوفيات .
- § ٢٢ — على الأهل أن يكفوا إلى الطائفة بتقريف الأحداث ، ويشتركوا بأموالهم في ذلك بقدر استطاعتهم .
- § ٢٣ — اللغة الرسمية للطائفة هي الفنلندية . على أن اللغة القومية ، وهي التركية ، تستعمل عند انعقاد الجمعية واجتماع اللجان .

§ ٢٤— إذا وقع شقاق بين عضوين فلينبئ كل منهما أحداً عنه .
ويُضاف إلى النائبين عضو ثالث يكون منهما بمكان الرئيس .
فينظر الثلاثة في الشقاق . وعلى العضوين المتشاققين أن يخضعوا
لحكمهم . وإن لم يُنبئ العضوان أحداً عنهما مدة ثلاثين يوماً ،
أو اختلف النائبان في اختيار الرئيس ، عُينت اللجنة التنفيذية نفسها
الرئيس والنائبين .

§ ٢٥— يُنظر في الأحوال التي لم تُثبت في هذا القانون بمقتضى قانون
حرية العقائد والعبادات الصادر في ١٠ نوفمبر سنة ١٩٢٢ .

هلسنكي ، ٢٤ أبريل ١٩٢٥

(الإضاء) وزير المعارف



أسرة السيد عمر عبد الرحيم
(وله ثلاث بنات أخريات ، وذلك في سنة ١٩٣٤)



فرقة كرة القدم واسمها : « الوطن — أورضا »



مكارم الاخلاق

(تعبير أختاذ يرجع إلى الأخلاقيات التقليدية)*

مجلد البحث : رواج هذا التعبير — مدلوله اللغوي — مصدره —
مضمونه — علاقته بالفتوة والمروءة — اتصاله بالجاهلية —
الخلاصة : تعبیر محض إسلامی ، لندن ، مهم ، أختاذ — الخاتمة .

رواج
هذا
التعبير

إنك تصيب في مخلفات الأدب العربي خمسة عشر كتاباً عنونها :
"مكارم الأخلاق" أو نحو ذلك ، على أن تهمل المؤلفات الفارسية والتركية
الموسومة بهذا العنوان ، الجارية على مثال تلك الكتب^(١) . وأربعة من هذه الكتب

(*) أتى هذا البحث مختصراً على سبيل الإمداد communication في مؤتمر
الشرقيتين المتقد في رومة ، شهر سبتمبر ١٩٣٥ ، ثم نشر باللغة الفرنسية في "مجلة
الأكاديمية الوطنية للعلوم" في رومة ، السلسلة ٦ ، المجلد ١٣ الجزء ٥ — ١٠ ،
Rendiconti della R. Accademia Nazionale dei Lincei, serie 1: 1937
sesta - - vol. XIII - fascicolo 5 - 10, 1937 - XV, pag. 411 - 425

(١) دونك جدولاً مختصراً فيه إجابات عن تلك المؤلفات :

١ — فلوغل Flugel فيرس "المخطوطات العربية والفارسية والتركية
المخزونة في دار الكتب الملكية في فيينا" * Wien ١٨٦٧ ج ٣
ص ٢٩١ رقم ١٨٥٩ ، ص ٣٠٨ رقم ١٨٨٢ .

العربية مطبوعة ، أصحابها : الخرائطي^(٢) والثعالبي^(٣) والباهلي^(٤)
والطبرسي^(٥) . وخمس منها مخطوطة ، أصحابها : ابن أبي الدنيا^(٦)

ب — " فهرس دور الكتب في المخطوطية . . . " *Kataloge öffentlicher Bibliotheken in Stambul und seinen Umgebungen* .

Stamboul مجموعة آيا صوفيا من ٩٧ ، ١٢٥ ، ١٢٠ ، ١٧٥ .

ج — " إنجاز حسين البسابوري الكنتوري " كشف الحجب والأستار عن أسماء الكتب والأسفار " كالكتبة ١٣٣٠ من ٥٤٨ رقم ٣٠٨٨ .

د — " الأخلاق جلال بلوامع الاعتراق في مكارم الأخلاق " لمحمد بن أسعد دواني ، ط. Muhammad Kazim Shirazi كالكتبة ١٩١١ .

(٢) " مكارم الأخلاق ومعالها وعمود طرائقها ومرئيتها " تأليف أبي بكر محمد بن جعفر بن سهل السامري الخرائطي ط. ٣٢٧ . مصر ١٣٥٠ ، ٩٥ من —
مذكور في ساجي خليفة " كشف الظنون " ط. Flugel ج ٦ من ٩٨ .
ياقوت " معجم الأدباء " ط. Margoliouth ج ٦ من ٤٦٤ . بروكلمن Brockelmann
" تاريخ الآداب العربية " G. A. J. ١٨٩٨ ج ١ من ١٥٤ . ذ " تنكته " Suppl
لين ١٩٣٧ ج ١ من ٢٥٠ ، ٩٤٧ .

(٣) " مكارم الأخلاق " لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي ط. ٤٢٩ . ط. لويس شيخو في مجلة " المشرق " بيروت ١٩٠٠ العدد ٢ من ٢٨ إلى ٣١ — مذكور في بروكلمن ك ك " تنكته " ج ١ من ٥٠٣ .

(٤) " ذخائر والأعلاق في آداب النفوس ومكارم الأخلاق " لأبي الحسن سلام بن عبد الله . . . الإصفي ط. ٥٤٤ . مصر ١٢٩٨ ، ٢٣٠ من — مذكور في بروكلمن ك ك " تنكته " ج ١ من ٤٨١ (اقرأ : الأعلاق لا د الأعلاق) .

(٥) " مكارم الأخلاق " لرضي الدين أبي علي . . . الطبرسي ط. ٥٤٨ . لهذا الكتاب طباعت كثيرة : ط. " فهرس الكتب العربية الموجودة بالدار (دار الكتب المصرية) " مصر ١٩٢٤ ج ١ من ٣٢ ي ي ؛ بروكلمن ك ك " تنكته " ج ١ من ٧٠٩ — مذكور في " كشف الظنون " ج ٦ من ٩٨ . (مرجعنا في هذا البحث إلى ط. مصر ١٣١١) .

(٦) " مكارم الأخلاق " لأبي بكر بن عبد الله . . . بن أبي الدنيا ط. ٢٨١ . ط. آفرت Abiwandi " فهرس المخطوطات العربية (في برلين) " Arab. Diss. رقم ٥٣٨٨ — مذكور في بروكلمن ك ك ج ١ من ١٥٤ ؛ ك ك " تنكته " ج ١ من ٢٤٧ .

والطبراني^(٧) وابن كنان الدمشقي^(٨) والتستري^(٩) ، وخامسهم مجهول^(١٠) .
وأما الكتب الستة الأخرى فالذي وصل إليه بحثي أنها ضاعت ؛
ولتجدنها مثبتة في بطون الفهارس المتداولة بين جمهور العلماء^(١١) .

(٧) مكارم الأخلاق لسيان بن أحمد بن أيوب الطبراني ٣٦٠ ط آفرت
ك ك رقم ٥٣٩٠ — مذكور في بروكسن ك ك ج ١ ص ١٦٧ ؛ ك ك
" نكته " ج ١ ص ٢٧٩ .

(٨) " مكارم الخلاق لأهل مكارم الأخلاق " لمحمد بن عيسى بن محمد بن كنان
الدمشقي ١١٥٣ ط آفرت ك ك رقم ٢٢١٥ — مذكور في
بروكسن ك ك ج ٢ ص ٢٩٩ ؛ ك ك " نكته " ج ٢ ص ٤١٠ .

(٩) " مكارم الأخلاق والسياسة " للتستري (شمس الدين ٨٩٩ راجع المخطوطة
ص ٢ ص ٣) ط " فهرس الكتب العربية الموجودة بالدار (دار الكتب المصرية)
ج ١ ص ٣٦٣ (تصوف وأخلاق دينية) رقم ٩٩٤ ؛ ٣١ ورقة ،
٢١ × ١٧ (رقم ١٣٥٣ أيضاً ، ولكن مرجعاً في هذا البحث إلى
رقم ١٩٤) .

(١٠) " مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب وبدائع الأوصاف وغرائب التشبيهات " .
(إنما الجانب الأول من هذا الكتاب أي " مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب " ،
يلحق بمكارم الأخلاق ، وأما الجانب الثاني أي " بدائع الأوصاف وغرائب
التشبيهات " فيدخل في باب " البيان والبدیع ") ط " فهرس الكتب المصرية
لدار الكتب (في ليبفون) " ٥٥٠٠٠٠٠٠ IX *Descriptive Catalogue and orient.*
رقم ١٠٩ .

تنبيه — يذكر آفرت Al-Bawadi (ك ك ج ١٧ ص ١١ رقم ٥١٠٣)
مخطوطة أخرى جعل عنوانها " مكارم الأخلاق " . وقد تبين لي بعد المراجعة
أن صاحب هذه المخطوطة إنما ينقل كلام الطبرسي في كتابه " مكارم الأخلاق "
(المذكور قبل) وقد أورد اسمه في ص ٨٤ .

(١١) أ — " مكارم الأخلاق " لرؤف الدين الدين-إبوري .
ب — " مكارم الأخلاق " لأبي منصور أحمد بن محمد بن عبد الواحد
ابن الصباغ — مذكوران في " كشف الغطاء " ج ١ ص ١٠٩٨ ؛
آفرت ك ك ج ٥ ص ١٨ رقم ٣٥ .

هذا فضلاً عن تأليف وقع فيها تعبير « مكارم الأخلاق » عنواناً لباب من الأبواب أو فصل من الفصول . وهذه التأليف أدبية ودينية وأخلاقية وصوفية (ونسبها في مجرى هذا البحث) . بقي أن ذلك التعبير جار على الأقلام جميعها منها اختلفت منازعها ، قديماً^(١٢) وحديثاً^(١٣) : حتى الشعراء أداروها على ألسنتهم ، من ذلك قول القائل :

ب — « مكارم الأخلاق » لعبد الملك بن حبيب — مذكور في « فهرس » أبي بكر بن خير . *Index librorum* ... Abu Bequer ben Khair. Saragossa 1891 من ٢٩٠ .

د — « مكارم الأخلاق ومذامم الأخلاق » لأحمد بن محمد بن حلق البرقي — مذكور في الكتفوري « كشف المحجب ... » من ٥٤٧ رقم ٣٠٨٧ .
ه — « مكارم الأخلاق » لأحمد بن أبي عبد الله بن محمد بن خالد بن عبد الرحمن و — « مكارم الأخلاق ومطلب الأعراف » لسلطان بن بئين — مذكوران في « معجم الأدباء » ج ٢ من ٢٢ ، ج ٤ من ٢٥١ .

(١٢) مثلاً : ابن النقيش « الأدب الصغير » ط أحمد زكي (باشا) الاسكندرية ١٣٣٠ من ١١ . البيهقي « الخافض والمساوي » مصر ١٩٣٢ من ٣٠ . الجاحظ (٢) « كتاب التاج » ط أحمد زكي (باشا) مصر ١٩١٤ من ٧١ . ابن خلدون « مقدمة » بيروت ١٩٠٠ من ٣٠٣ ، ٣١٠ . وغيرهم كثير ، وسرد أسماؤهم في سياق الاستدلال .

(١٣) مثلاً : « المجلة الأسبوعية » .A.A. باريس أكتوبر — ديسمبر ١٩٤٤ العدد ٢٢٥ من ٢٦٠ . بطرس البستاني « قصة أسعد الشدياق » بيروت ١٨٧٨ ط ثانية من ١٢٢ . محمد عبده « شرح نهج البلاغة » مصر مطبعة الرحمانية ج ١ من ٢٢٠ . محمد كرد علي « الإسلام والحضارة العربية » مصر ١٩٣٤ من ٢٨١ . ألسناس مازي الكرمل « بحث ... » مجلة « القنظف » يوليو ١٩٣٥ من ١٢٦ . خليل ثابت « ياقوت صروف » « القنظف » ديسمبر ١٩٣٧ من ٥١٤ . بشر فارس مجلة « الهلال » أبريل ١٩٣٤ من ٦٩٨ . ن مجلة « الرسالة » السنة ٧ من ٢٢٣ . هذا وقد ورد هذا التعبير في كتب الأخلاقيات المؤلفة على الطريقة الإسلامية النقية في هذا العهد ، فتركت فيها منزلة « مبدأ » إسلامي : ط صالح حمدي حماد « أدب الإسلام » مصر ١٩٠٧ من ١٩٩ ؛ علي شكري « تقويم الأخلاق » مصر ١٩٣٥ (ط الغلاف) . ويضاف إل هذه الكتب مصرية محمد شكري : « رواية مكارم الأخلاق » مصر ١٩٢٩ .

لو أنني خُبرت كل فصيحة ما اخترت غير مكارم الأخلاق^(١٦).

ثم إن ذلك التعبير انسل من مطاوي الكتب ليحرق في مذاهب الحياة العامة . ففي مصر اليوم جماعة اسمها « جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية » أنشأها الشيخ زكي الدين سند ، سنة إحدى وتسعمائة وألف ، وجعل لها مجلة كان لها شأن عند الأزهريين في ذلك العهد^(١٧) . والغاية التي تحرق إليها هذه « الجمعية » تعليم عامة الناس وإرشادهم . فإن كان ذلك كذلك ، فما الذي نفت في تعبير « مكارم الأخلاق » هذا السحر الأخاذ بالأقلام والأذهان ؟

مما لا يخفى على البصير باللغة أن لفظة أخلاق جمع لخلق أو خلق^(١٨) .
ومؤدى هذين اللفظين ، على السواء : الطبع والسجية^(١٩) . وفي القرآن شاهد هذا : « وإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ » ، « وَإِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّالِينَ »^(٢٠) وفي الأدب كذلك^(٢١) .

مما لا يخفى
القوى

- (١٦) الاصفهاني " محاضرات الأدباء " مصر ١٩٠٨ ج ١ ص ١٣٣ . ثم : أحب مكارم الأخلاق جهدي وأكرم أن أعجب وأن أعابا
() الموردي " أدب الدنيا والدين " مصر ١٣٢٩ ص ١٩٥ . ثم زيت
عصري حافظ إبراهيم " ديوان " مصر ١٩٣٧ ج ١ ص ٢٨٠ ؛ وآخر لحليل مطران ،
صحيفة " الأهرام " ٣٧/٤/٢٩ .
(١٧) على ما أخبرني به الدكتور طه حسين بك عميد كلية الآداب بجامعة بؤاد الأول .
(١٨) ط المعجمات مادة خ ل ق . (وكذلك الخليفة) .
(١٩) سؤ ١٨ آ ٤ سؤ ٢٦ آ ١٣٧ .
(٢٠) مثلاً : الجاحظ " البيان والتبيين " مصر ١٣٣٢ ج ٢ ص ٥٢ . " أدب الدنيا والدين " ص ١٨٧ . البحري " ديوان " بيروت ١٩١١ ص ١٧٧ ، ١٨٢ ، ١٨٦ .

ومما لا حاجة به إلى التدليل أن الأخلاق لفظة شاعت في كتب
الفلاسفة على نبيان مشاربهم ، فقليل « علم الأخلاق » و « تهذيب
الأخلاق » و « الحكمة الخلقية »^(٢٠) و « الأخلاقيات »^(٢١) .
وبناظر هذه التعبيرات : في الفرنسية morale, éthique وفي الإنجليزية ethics
وفي الألمانية Sittenlehre, Ethik .

وأما لفظة المكرم ، فكأنها دون لفظة الأخلاق وضوحاً ، وإليك
بيان ذلك :

إن الكرم نقيض اللؤم أصلاً^(٢٢) (وقد أفاد الجود من قبيل
الانساع في القول^(٢٣)) . والكرم ومشقاته المختلفة تحصل معنى الرفع
في القرآن (نحو « الكريم » وهو من أسماء الله وصفاته ، و « أكرم »

(٢٠) التهانوي " كشف اصطلاحات الفنون " كتابه ١٨٦٢ من ٤٤٨ .

(٢١) الشهرستاني " الملل والنحل " لندن ١٨٤٢ ج ٢ من ٢٧٨ ومصر ١٣٤٧
(بهامش " الفصل في الملل والأهواء والنحل " لابن خزم) ج ٢ من ٢٧ .

(٢٢) " الصحاح " مصر ١٢٩٢ ج ٢ من ٣٢٩ . " لسان العرب " ج ١٥
من ٤١٤ . " تاج العروس " ج ١ من ٤١ . ومن ذلك : الكريم
نقيض اللؤم (ط اشعالي " مكرم الأخلاق " من ٢٩ ، وقول الشافعي " ديوان " بيروت ١٣٠٥ من ٣٨٧ :)

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

وقول الشاعر القديم " الفضائل " مصر ١٩٢٦ من ٨٢ أكرمت
اللئيم وأجبر السكوتاً .

(٢٣) ابن سيده " المختص " ج ٢ من ٢ . ز " حاشية أبي تمام " مصر ١٣٢٢
ج ٢ من ١٢٢ (الفرج) : وفي شعر القديم : ذ ج ٢ من ١٩٨ .

وهو من صفات الله^(٢٤) . وأما لفظة المكارم (ج مكرمة ، وقيل :
مكرم^(٢٥)) فتتطوى على معنى يقف من الضعة موقف الضد من
الضد^(٢٦) ؛ وإليك بيتاً مصداقاً لذلك :

ذهبت قرئت بالمكارم والعلل والنظم تحت عمام الأنصار^(٢٧) .

فالمكارم في هذا البيت مقرونة بلفظة العلال^(٢٨) ، فضلاً عن أنها تقابل
النظم . وقد كان معنى العلال يندرج تحت لفظة المكارم من زمن بعيد ،

(٢٤) ط " القرآن " مثلاً : سور ٢٥ ، آ ٧٢ ؛ ٤٩ ؛ ١٣ ؛ ٥٥ ؛ ٢٧ ،
٧٨ ؛ ٥٦ ؛ ٧٦ ؛ ٨١ ؛ ١٥ ؛ ٩٦ ؛ ٣ .

وتأمل قول حسان بن ثابت (" شرح ديوان ... " مصر ١٩٢٩ ص ٣٧٩) :
لم يولوا حتى أيدوا جميعاً في مقام وكاهم مذموم
بدم عاتك وكالت حفاظاً أن يقيموا ، إن الكريم كريم

(٢٥) " الصحاح " و " لسان العرب " مادة كرم : قال الكسائي : المكرم
والكرمة ، قال : ولم يحى على مفعول المذكر إلا حرفان نادران لا يفس
عليهما : مكرم وممرون ؛ وقال الفراء : هو جمع مكرمة ومعونة وعنده
أن مملاً ليس من أبنية الكلام .

(٢٦) تأمل قولهم : د أكرمنا ولا تهنأ ، (الواحدى " أسباب النزول " مصر
١٣١٦ ، ص ٢٤٣) .

(٢٧) " الأغاني " مصر ١٢٨٥ ج ١٣ ص ١٤٨ .

(٢٨) ويقول المتنبي (" ديوان " ص ٥٥٣) :

هذا أخصا ركزنا الزما ج بين مكارمنا والعلل

ثم انظر إلى قول الشاعر القديم (" انفضيات " مصر ١٩٢٦ ص ٨٢) :
د وأبى الله بالمكرمات ... د وفوق أبى سعيد الزمعي (الثعالي " مرآة
الرواء " مصر ١٨٩٨ ص ٢٢٧) : د وأنت أخو الكارم والحوالي .
وتأني لفظة الخيرات بدلا من لفظة العلال أو العلال (الزمخشري " التلخيص " ص
حيدر آباد ١٢٧٤ ج ٢ ، ص ١٩٨) : د يا عمر الخيرات والمكارم .

ألا تذكر قول الشاعر ، شاعر وفد بني تميم ، عند مفارقة الرسول :
أبينك كيتا يعرف الناس فضلنا إذا فارقونا عند ذكر المكارم^(٢٩) ؟
ولعل الحوار يمتد نظر إلى مثل هذا البيت يوم جعل عنوان كتاب
من كتبه : " المكارم والمفاخر " .

إن جل من تكلموا على " مكارم الأخلاق " استندوا إلى هذا الحديث
النبوي : « إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ »^(٣٠) . وقد وقع هذا

مصدره

(٢٩) " أسباب النزول " ص ٢٩١ .

(٣٠) ولما نقل تعبير مكارم الأخلاق إلى اللغات الأجنبية ، كالفرنسية مثلاً ، فن
الانحراف عن الدقة أن يقال bonnes mœurs (= الأخلاق الحسنة) ؟
(ط مثلاً : كارادي نو Carra de Vaux " دائرة المعارف الإسلامية " E. I.
ط أولى ، هندية ، مادة " أخلاق ") . وللألماني آلهرت Ahlwardt ،
" فهرس الكتب العربية ... ج ٥ ص ٤ ، ٢ ، ترجمة أخرى أقرب إلى
الصواب وهي : gute und edle Eigenschaften (= صفة = شريفة)
أدق من صفة bonnes (= حسنة) . والترجمة الأولى ، وهي الشائعة
حتى اليوم ، تتعرف عن الدقة لأن ناحية اشتقاق المفضلين : مكارم وأخلاق ،
ولكن من ناحية مدلولهما متى افتقرا . وعندى أن " الأخلاق الحسنة " =
دون " مكارم الأخلاق " . والترجمة الواضحة لهذا التعبير هي :
eminentes vertus (= الفضائل الرفيعة) .

(٣١) أطلقه في التثني " كنز العمال " ج ١٣١٢ ج ٢ ص ٥ رقم ٩١
(عن " السنن " للبيهقي) . ونقطة هذا الحديث في الزرقاني " شرح الموطأ "
مصر ١٣١١ ج ٤ ص ٩٦ : " ولطبراني عن جابر مرفوعاً : أن الله بعثني
تمام مكارم الأخلاق وكامل محاسن الأعمال " .
ولهذا الحديث سلطانه اليوم : يُستفهد به (مثلاً : عبد العزيز البشري
" أعظم يوم ... بحجة " الرسالة " السنة ٧ من ١٩٩١) . ويستخدمه ، في
مصر على الأقل ، تحفة خطبة تعلق في البيوت والحوانيت على سبيل التحلية
والتيك والتمرد .

الحديث في سياق تأليف القوم موقع النعم الحادى Leitmotiv في مجرى
لحن من الألحان . وثمة بعض أقوال منسوبة إلى الرسول فيها
ذلك التعبير^(٣٢) ، ثم قول منسوب إلى علي^(٣٣) وآخر إلى

(٣٢) وهو (أي التي عثرت عليها) :

١ - * مكارم الأخلاق من أعمال (أعمل) الجدة * (* كثر الحال * ج ٢
من ٢ رقم ١ (عن * الأوسط * للطبراني) . ز ابن أبي الدنيا
* مكارم الأخلاق * من ٢ : ٢ : السلمي ٥ : ١١٢ * كتاب الفتوة *
خ آيا صونيا ٢٠٤٩ من ٨٠ [ط بعد (ح) ٥٩] .

ب - * حقا الإسلام بمكارم الأخلاق ومحاسن الآداب * . (السهروردي
* معارف المعارف * مصر ١٣٤٨ ، بهامش * إحياء علوم الدين *
ج ٢ من ٣٤٣) . ز * إحياء ... ج ٢ من ٣١٤ :
* إن الله حقا الإسلام بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ... ٤ :
ط هنا * إحياء * ض ك (ح) رقم ٣ من * ألفي عن حل الأسفار ... *
نزين الدين العراقي .

ج - * إن الله تبارك وتعالى خسر رسوله بمكارم الأخلاق فامتنعوا أنفسكم *
(الطبرسي * مكارم الأخلاق * مصر ١٣١٩ من ٢٩٢) .

د - * إن مكارم الأخلاق التزاور في الله وحق على الزور أن يهرب إلى أخيه
ما ييسر عنده وإن لم يجد عنده إلا جرة من ماء . وإن احتشم أن
يهرب إلى أخيه ما ييسر لم يزل في مقت الله تعالى يومه وليته *
(السلمي ض ك) .

ونجد أقوالاً أخرى في * كثر الحال * ج ٢ من ٢ رقم ٢ (عن
* شعب الإيمان * للبيهقي) ، من ٥ رقم ١١٣ (عن * المستدرک *
للحاكم) ، من ١٣١ ي رقم ٣٢٦٨ (عن * تاريخ بغداد * لابن
النجاشي و * دلائل النبوة * للبيهقي و * المستدرک * للحاكم) .

ه - ثم ط ما يأتي من الخواشي .

(٣٣) * إن الله جعل مكارم الأخلاق ومحاسنها وصلاً بينه وبينكم * (* أدب الدنيا
والدين * من ١٩٥) .

عائشة^(٣٤) وآخر إلى جبريل^(٣٥) .

وإذا نحن انصرفنا - أول الأمر - إلى الأحاديث المنسوبة إلى الرسول لم نصبها في الكتب الستة ، كما استبان لك من الحواشي . ومما أسوقه - فوق هذا - أتى سألت الأستاذ المستشرق أ . ي . فينسنت WINSINGH هل عثر على ذلك التعبير فيما لم من أشقات الأحاديث التي يرتبها في « المعجم للفهرس لألفاظ الحديث النبوي » ؟ فكتب إلى - حفظه الله - يقول : « لم يرد تعبير مكارم الأخلاق إلا مرة واحدة في المعتمد من كتب الحديث ، وذلك في قصة إسلام أبي ذر . والتعريف من كلام أخى أبي ذر »^(٣٦) .

(٣٤) : إن مكارم الأخلاق عشرة : صدق الحديث ، وصدق الناس في طاعة الله ، وإعطاء السائل [السائل] ، ومكافأة الصنيع ، وصلة الرحم ، وأداء الأمانة ، وانضمام الجار ، والتصدق للصاحب ، وقرى الضيف ، ورأسهن الحياء . (ابن أبي الدنيا " مكارم الأخلاق " ص ٤ م) . ولهذا الحديث روايات تختلف ألفاظها شيئاً : ط ، ض ، ك ، و " كنز العمال " ج ٢ ص ١٣٥ رقم ٣٢٧٦ . (ابن صاحب " كنز العمال " دون هذا الحديث على وجه آخر في بعض ألفاظه ، مقسوماً إلى الرسول ، عن " شعب الإيمان " للبيهقي ، وذلك في موضع آخر : ج ٢ ص ٢ رقم ٧ . وكذلك صنع الخوارزمي ، " المكارم والفساخر " ص ٣١ ؛ والهمزوردي ، ج ٢ ص ٢٢٩ ي .)

(٣٥) : روى محمد بن حازم الملالى أن جبريل نزل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد إني أتيتك بمكارم الأخلاق في الدنيا والآخرة ، خذ الفجر وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين . (" مكارم الأخلاق " خ ليدن ص ٢ م - ٣ . " أدب الدنيا والدين " ص ١٩٥) . ومما يتصل بأمر هذا الحديث ما في " عوارف المعارف " ج ٣ ص ١٠٠ : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أدبني ربى فأحسن تأديبي ، ثم أمرني بمكارم الأخلاق ، فقال خذ الفجر وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين .

(٣٦) الساعدي فتشك هو الجامع المجتهد للحديث الصحيح ، وصاحب " ملخص كنوز السنة " (مصر ١٩٢٢ ، قاله محمد فؤاد عبد الباقي إلى العربية)

وإذا أنت أهملت عند الحديث الواقع في سياق تأليف المسلمين موقع
النعم الحادي في مجرى ملحق من الألفاظ ، قلتُ بأنني لم أذهب في تحصيله
المذهب المرضي ، إذ لم أنظر في إسناده ؛ قلتُ بأنني لا أعرض لهذا الحديث
على جهة اعتبار حكم من أحكام الشرع وتلقى أصل من أصول الإسلام
وإثبات أدب من آداب السنة . إنما الذي يعنيني من هذا الحديث
ورود تعبير « مكارم الأخلاق » فيه . وهبني أثبت صحة ذلك الحديث
أو ضعفه أو علته ، من طريق المراجعة ، فتمت حقيقة لا تدفع ؛ وبينها
أن ذلك الحديث على أقلام المسلمين دوار . ومن هنا تزن مقدار استيلائه
على أذهانهم ، سواء كان صحيحاً أو موضوعاً ، متصلاً أو منقطعاً ، منقولاً
على طريقة كذا أو كذا .

أضف إلى هذا أن هنالك حديثاً يتنافس ذلك الحديث من جهة
اللفظ والأداء جميعاً ، وحروفه : « بُعثت لأتم حسن الأخلاق » ،

والشرف على طبع " المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي " ليدن ١٩٣٤
ي ي ، وهو معجم تفصيلي لفردات الأحاديث المدونة في " الكتب الستة
ومسند النجاشي وموطأ مالك ومسند أحمد بن حنبل " . وهذه على حد قول
الشيخ أحمد محمد شاكر - من ذوي البسطة في علم الحديث هذا العهد عندما (ظ " مفتاح
كنوز السنة " صفحة ٥ ، والكلام على الفأية الأولى) - : « هي أصول السنة ،
ومصادرها الصحيحة الموثوق بها ، ويشتر أن يكون حديث صحيح خارجاً عنها
ليس موجوداً في أحدها » . ز " مقدمة الكتاب " ك ك لرشيد رضا .
وبعد ، فإليك قصة إسلام أبي ذر : ... وكان أبو ذر لما بلغه بعث
النبي صلى الله عليه وسلم قال لأخيه : اركب إلى هذا الوادي فاصبر من قوله
فرجع فقال : رأيت بأمر بمكارم الأخلاق... ظ البخاري " صحيح " ليدن ١٩٠٧
ي " كتاب الأدب " باب ٢٩ من ١٢١ ز ذ " كتاب مناقب الأنصار "
باب ٢٣ من ٢٢ ؛ مسلم " صحيح " القسطنطينية ١٢٣٤ من ١٥٥ ي .
(٣)

وهو مما جاء في "الموطأ" للإمام مالك^(٣٧). فانظر كيف ورد فيه تعبير «حسن الأخلاق» بدلاً من تعبير «مكارم الأخلاق» الوارد في الحديث الذي خرّجه البيهقي في "السنن". ورواية الإمام مالك أعلى، لأن "الموطأ" عند جمهور العارفين من أمّيات المسانيد، على حين لا يظفر كتاب البيهقي بمثل هذه الثقة.

وإذا بدا لك بعد هذا أن تعدل عن النقد الخارجي critique externe وهو النظر في الأسانيد إلى النقد الباطني critique interne وهو النظر في الأسلوب، فاعلم أن أسلوب هذا الحديث محض إسلامي. ألا ترى الرسول كيف حثّ صحابته على التزام حسن الأخلاق^(٣٨) ؟

(٣٧) مصر ١٣٤٨ ج ٢ ص ٢١١ "كتاب حسن الخلق" : في باب « ما جاء في حسن الخلق » : ١ عن مالك أنه قد بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : بعثت لأتمم حسن الأخلاق ، ٢ " كثر النعمان " ج ٢ ص ٥ رقم ٩٢ : ١ إنما بعثت لأتمم حسن الأخلاق ، (ابن سعد عن مالك ابن أنس بلاط) . وهناك رواية : ٢ صالح الأخلاق ، بدلاً من « حسن الأخلاق » : ١ - « بعثت لأتمم صالح الأخلاق » ١ ابن أبي الدنيا " مكارم الأخلاق " ص ٢ . ٢ - « إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق » (الطبراني " مكارم الأخلاق " ص ٢ . كتاب " أدب الاملاء والاستبلاء " جمع عبد الكريم بن محمد ابن منصور السعدي ، في مصور برلين ms. sin. ar. 69 ص ٢٢) . (٣٨) مثلاً : ١ - « ومن خياركم أحسنكم أخلاقاً » (البخاري " صحيح " أدب " باب ٣٩ . مسلم " صحيح " فضائل " باب ٦٠ . الترمذي " سنن " بر " باب ٤٧ . ابن حنبل " مسند " مصر ١٣٩٤ ج ٢ ص ١٦١ ، ١٨٩ ، ١٩٣ ، ٢١٠) . ٢ - « إن من أحبكم إليّ يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً » (الترمذي " كنز " بر " باب ٧١) . ثم ط " مكارم الأخلاق " في لندن ص ٣ ي ي ٤ ابن أبي الدنيا " مكارم الأخلاق " ص ١ ي ي ٤ ابن جعدويه " مرآة الترويات " في آيا صوفيا رقم ٢٠٤٩ ص ٤٤ : الحرائطي لك ص ٩٢ .

وصفة القول أن هذا التعبير ليس من آثار النبي المقطوع بوجودها في الكتب المعتمدة ؛ ذلك أن الحديث بحروفيه كلها ، أعني « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » ، لم تخرجه الأئمة الستة ومن في طبقتهم ، على حسب استخراج المستشرق رَفْسِيك .

وكيفما كانت الحال فإن الاستشهاد في اللغة بلفظ الحديث موضع نظر ؛ وقد فصل هذا عبد القادر بن عمر البغدادي في مقدمة " خزنة الأدب " . ولك أن تقول ، بعد هذا كله ، إن ذلك التعبير اتفق له — في مستهل الإسلام — أن يدور على لسان أخي أبي ذر ، كما مرَّ بك ^(٢٩) . على أن قصة دوران هذا التعبير على لسان أخي أبي ذر مشكلة من المشكلات . وبيان هذا أنه من المستحيل أن نعرف هل جاءنا ما أثر عنه بحروفيه . وأما أقوال علي وعائشة (ثم جبريل) فإنما نقلت جميعاً من النقد ، إذ لا يدري أحد ما قدر صحتها ، فضلاً عن أن بعضهم ينسب قول عائشة إلى الرسول ، على ما رأيت في الحواشي . إلا أن هذا التعبير ، وإن بدا غريباً عن الحديث المذون في المعتمد من المسانيد ، كيلحق بلفظ الإسلام . وثما يعرّز هذا الرأي أن الذين عاجلوا مكارم الأخلاق لم يوردوا — فيما أعلم — نصّاً جاهلياً فيه التعبير الذي يشغلنا ، مع ما عُرِف به كتاب العرب ، صنفوا أو ألفوا ، من استقصاء للأخبار واستخراج للمختبرات .

والنتيجة أن هذا التعبير ينحدر — عند المسلمين — من الحديث . وريقاً انحدر — عند نفر منهم — من قول عائشة أو قول علي

(٢٩) وفي " الأغانى " ج ١٦ ص ١٠٦ أن عدى بن - تم طيحي - نقل بهذا التعبير .

(أو قول جبريل). ثم إن هتلك فئة من الكتاب لم يرجعوا في كلامهم على مكارم الأخلاق إلى الحديث النبوي المذكور ولا إلى قول عائشة أو غيرها. بل تارة يوردون التعبير على أنه تأويل لآية قرآنية أو تذييل لحديث نبوي، على ما ترى فيما يأتي بعد هذا الفصل (إلا أن هؤلاء الكتبة يصنعون هذا وأذهابهم - فيما يطلب على الظن - مشغولة بقول النبي: «إنما بعثت لأتم مكارم الأخلاق»)، وتارة يميلون ردها إلى أصل من الأصول، فكانت العبارة إذن مستقرة ثابتة لا تحتاج إلى الجدال عنها ولا التأييد لها.

مما لا مجال فيه للشك أن من يكتب في مكارم الأخلاق يجري إلى إكبار الفضائل الإسلامية وإغراء الناس بالإقبال عليها، اقتداءً بالرسول؛ بحيث تأتي كتابته وعظاً وإرشاداً. من ذلك قول ابن أبي الدنيا في فاتحة كتابه المخطوط (ص ٥): «ونحن ذاكرون في كتابنا هذا في كل خصلة من الخصال التي ذكرت (يعني عائشة أم المؤمنين في الحديث المنسوب إليها)، رضوان الله عليها، بعض ما انتهي إلينا عن النبي وعن أصحابه وعن بعدهم من التابعين وأهل الفضل والذكر من العلماء، يزيداد ذو البصيرة في بصيرته، وينتبه المقصر عن ذلك من طول عقلته، فيرغب في الأخلاق الكريمة، وينافس في الأعمال الحميلة التي جعلها الله عز وجل حلية لدينه وزينة لأوليائه...». وما يورث اللامعة أن أسرد هنا ألوان الفضائل التي يُلبثها كل كاتب وأن أعارض بعضها ببعض. وعلى أية حال فرووس تلك الفضائل

مضمونه

= على الوجه الغالب — التقوى والجلود والحلم والشجاعة والصدق والصبر والعفة والحياء ، إلى غير ذلك مما يلائم نزعات الكاتب نفسه .
وَلَاؤَقَعُ في النفس من سرد هذه الفضائل سرداً يجعل البحث آخذاً بالظواهر دون البواطن ، أن ننظر كيف تصور الكتاب واحداً واحداً مضمون التعبير :

يورد الغزالي في " إحياء علوم الدين " والسهوردي في " عوارف المعارف " والطبرسي في " مكارم الأخلاق " (٤٠) أحاديث نبوية (ليست في المسانيد المعتبرة كما قدمنا) ، يسوق فيها الرسول مكارم الأخلاق . ويرى غيرهم — مثل صاحب " العقد الفريد " (٤١) — أن تفريق مكارم الأخلاق تنتمي في الآية : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین » . وكأنهم بهذا يؤلون بأذهانهم ناحية القولة المنسوبة إلى جبريل ، فيما سبق من الكلام . وأما الخوارزمي فيرى أن النبي قد « جمع من مكارم الأخلاق ما كان متفرقاً في الأنبياء » (٤٢) .

وأما صاحب المخطوط الموسوم بـ " رسالة في خلق الإنسان " (وهو مجهول) فإنه يذكر الآية نفسها (« خذ العفو ... ») ويضيف

- (٤٠) " إحياء " ج ٢ ص ٣١٤ . " عوارف " ج ٢ ص ٣٣٠ . ز " كثر المال " ج ٢ ص ٢ رقم ٤ . " مكارم الأخلاق " مصر ١٣١١ ص ١١٤ ، ٢٩٢ .
(٤١) ج ١ ص ٢٧٠ . ز " رسالة في خلق الإنسان " (خ برلين رقم ٥٤٠٤) ص ٢٤ ؛ ضياء الدين التوصلی (ابن الأثير) " المثل السائر " مصر ١٣١٢ ص ٢١٢ ص ١٢ ي ي .
(٤٢) " انكارم والفاضل " ص ٣١ : ٢ وكان فيه صلى الله عليه وسلم حلم ابراهيم وزهد عيسى وعافاة موسى وشدة نوح وصبر أيوب وسعة سليمان

إليها غيرها ، ثم يلحق بها جميعاً حديثاً طويلاً من الإنجيل إرادة التمثيل^(٤٣) .
وأما ابن أبي الدنيا فينبى رسائله على قول عائشة ، ويعزز تفصيله قولها
بالمأثور عن النبي والخلفاء وعظام الناس ، على ما تبين لك من فاتحة كتابه .
وثمة أمثال الخرائطي والطبراني ، وهما يسوقان — من قبيل التَّحَكُّم
arbitrairement — عدة فضائل يقوم عليها تدبير الرجل لنفسه في أمر
دينه ودنياه ، مستشهدين بأحاديث نبوية . وعلى هذا يجري الغزالي
دفعاً أخرى ، جاعلاً مكارم الأخلاق عنواناً لكلامه أو مغضلاً ذلك^(٤٤) .

(٤٣) ص ٢٤ م - ٢٥ م : فصل في مكارم الأخلاق : هي سبعة :
عدوك عن ظلمك ، وإعطاؤك من حرمك ، وصنك من قطعت ، وإحسانك إلى
من أساء إليك [أساء إليك] ، وتصيحتك من غشك ، وحلمك على من أغضبك .
وأصل هذه السبعة قوله تعالى لبيد : خذ العقر وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين
(سور ٢٧ آ ١٩٨) . وقال تعالى : [و] لا تستوي الحسنة ولا السيئة
ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ، وما يتصافوا
إلا الذين صبروا وما يتصافوا إلا ذو حظ عظيم (سور ٤١ آ ٣٤) .
وقال تعالى : ولئن صبرنا فغفر إن ذلك لمن عزم الأمور (سور ٤١ آ ٤١) .
وقال تعالى في وصفهم : وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً (سور ٢٥ آ ٦٥) .
وقال المسيح : سمعتم ما قولي ، يعني في التوراة : العين بالعين ، والسن بالسن .
وأنا أقول لا تقاوموا الشر بالشر ولكن من أطعك على خذك الأمين فقول له
خذك الآخر ، ومن دام أخذ نوبك فزده إزارك ، ومن سرك مالا فاش معه
ميلان [ميلان] ، ومن سألك فأعطه ، ومن اقترض منك فلا قمعه .
سمعتم ما قولي [الأولين] أحب قريبك وأبغض عدوك ، وأنا أقول لكم
أحبوا أعداءكم ، الخ . ز " إنجيل متى " الأصحاح ٥ ، الآية ٣٨ ي .
(أوردني إلى المرجع في " الإنجيل " الأستاذ الأب أسطاس ماري السكرملي) .
تفسيره — هذا المخطوط : " رسالة في خلق الإنسان " ط
آثرت " نفوس ... " ج ٥ ص ١٦ رقم ٥١٤ . وفي المخطوط حديث عن الأخلاق
المضمومة والأخلاق الحميدة . وصاحبه (وهو مجهول) لاحق لليبي ٤٥٨ :
صاحب " السن الكبير " ، إذ يذكره في ص ١٢ .
(٤٤) ج ٣ ص ٤٣ ي ، ص ٣١٢ ي . وعلى هذا أيضاً " الذخائر والأعلاق
في آداب النفوس ومكارم الأخلاق " قبايلي .

وأما الطبرسي فيسقط الفضائل على طائفة كبيرة من آداب الإسلام ،
زيادة على عباداته . ومن هذه الآداب : كيف يشرب المؤمن وكيف
يأكل . ألا تراه يقول (ص ٥) : « ونحن نذكر تفصيل مكارم أخلاقه
(يعني الرسول) في أحواله ونصرفاته وجلوسه وقيامه وسفره وحضره
وأكله وشربه خاصة ... » ؟

وأما المتكلمون --- أمثال الماوردي^(١٥) --- فيحصلون تعبير « مكارم
الأخلاق » مدخلاً إلى الفحص عن مختلف الفضائل . وأما الأخلاقيون ،
السالكون ملك حكماء اليونان ، فيحصلون التعبير كاشعار لكتابهم
ويهلون الجانب الديني منه . مثال ذلك قول ابن مسكويه في فاتحة كتابه
« تهذيب الأخلاق »^(١٦) : « الحمد لله الذي أرسل نبيه ... متمماً لمكارم
الأخلاق » . ومما يدخل في هذا الباب مؤلف شمس الدين التستري .
إلا أن التستري جمع بين مكارم الأخلاق والسياسة ، فجعل هذه (ويريد
بها تدبير معاملة الناس بعضهم لبعض) حاصلة من الحكمة ، والحكمة
عنده إحدى مكارم الأخلاق^(١٧) .

(١٥) « أدب الدنيا والدين » ص ١٧٨ ح ي .

(١٦) مصر ١٣١٧ ص ٢ (وقيل : مسكويه ، ط برزكني ذلك) نكتة ج ١
ص ٥٨٢ . ر « تهذيب الأخلاق » النسوب إلى الجاحظ ط محمد كرد علي
دمشق ١٩٢٤ ص ٨ .

(١٧) مائدة — العلوم أت الغضائقي عند أصحاب الحكمة الخفية النظرية من
المرتب أربع : الحكمة ، والحق ، والشجاعة ، والمدالة . والأولى حاصلة
من اعتدال قوة النفس الداخلية ، والثانية من اعتدال قوة النفس
الدهوانية ، والثالثة من اعتدال قوة النفس الغضبية ، وسائر الفضائل
بالإضافة إليها جميعاً . ط ابن مسكويه « تهذيب الأخلاق » ص ١٣ — ١٦ ؛
ابن سينا « علم الأخلاق » في « مجموعة رسائل » مصر ١٩١٠ ص ١٩٢ ؛

وأما المصنفون من كتّاب العرب المستقلّون عن الطرائق الكلاميّة

"تهذيب الأخلاق" المنسوب إلى الجاحظ من ١١٦، ٤٥٠؛ "إحياء..." ج ٣ من ٤٧ ي. ي. ز قول كارا دي نو Carra de Vaux في "دائرة المعارف الإسلاميّة" ط أولى، مادة "أخلاق"، الفقرتان الأخيرتان. وبعد، فصاحبنا التسعري هو إلى الحكمة النظرية أبيل منه إلى الأخلاقيات العمليّة. وهو من أشرب تعاليم اليونان كما يبدو من كتابه المخطوط. فتراه يحمل العنوان الذي جعله للكتاب أي "مكارم الأخلاق والسياسة" ليندفع في تحليل قوى النفس تحليلاً نظرياً (اعتدال القوى الناطقة والقوى العنسيّة والقوى الشهوانيّة) وفي رأيه (م ٢) أنه : إذا اعتدلت القوة الناطقة (= مبدأ الفكر) حصل منها فضيلة الحكمة، وإذا اعتدلت القوة العنسيّة (= مبدأ دفع المنافع) وأطاعت القوة الناطقة حصل منها فضيلة الشجاعة، وإذا اعتدلت القوة الشهوانيّة (= مبدأ جذب اللذات) وانقادت للقوة العاقلة حصل منها فضيلة العفة. واعلم أن المدالّة أعرف الفضائل... وباقي الفضائل بالنسبة إليها... فهل يمتدّ التسعري هذه الفضائل العناصر الأربعة لمكارم الأخلاق؟ انه من التصدّر عليك أن نذكّر في الأمر، لأن التسعري يسرد بعد ذلك «أمراض هذه القوى» (م ٣ - ٤)، ويتفرّق إلى الكلام على السياسة أي التدبير (م ٥ - ٦) في حال المال : اعتبار الدخل واعتبار المخرج واعتبار الحفظ... م ٤ م - ٥)، ومنه إلى الحديث عن «وجه الحاجة إلى التمدّن : للنفس والسكن والسلاح» (م ٥ م - ٦ م)، حتى يبلغ هذا الفصل الاجتماعي (م ٧) : «وما كانت دواعي أعمال الناس مختلفة وحركاتهم إنّما تتوجه إلى مقاصد مختلفة فلو أهملوا طبائعهم لم يتصور منهم التعاون entr'aide، لأن التعلّب كان يستعمل الباقين في مقاصده وأغراضه من غير أن يساعد» ويقع النزاع المؤدي إلى الفتنة والفساد. فلهذا احتاجوا إلى تدبير يترك لكل واحد منزله ويمطيه حقه ويشغله بصناعة يكفلها ويصرف عنه شر الباقين. وذلك التدبير هو السياسة، والسياسة محتاجة إلى التشريعات لمعرفة قوانين توجب نظام معاش الإنسان ومعامه. والحكمة (مكتوبة بحبر أحمر) البيّنة هي النظر في قوانين كليّة (lois universelles) تفضي مصلحة عموم أبناء النوع (l'espèce humaine) من حيث تعاونهم في التوجه إلى الكمال الحقيقي... هذا وقد رأينا قبل أن الحكمة - سواء كانت دينيّة أو غير دينيّة - خاصّة في رأي التسعري من اعتدال القوى الناطقة، إلى آخر ما هنالك.

والمذاهب الدينية — كالراغب الأصفهاني^(٤٨) وابن عبد ربه^(٤٩) — فيحشدون في طيِّ مكارم الأخلاق طائفة من الفضائل داخلية في باب الأدب دون باب الدين ، أو يوردون — على نحو ما صنع الثعالبي — « حكماً وأمثالاً » تدور حول « سياسة النفس » .

أما المنشئون لمكارم الأخلاق على أقلامهم نأخذ بإخذ الأدب . وإليك ابن المقفع مثلاً في « الأدب الصغير » ، وقد سبق ذكره .

وأما الصوفية فيقولون بأن مكارم الأخلاق إنما هي الفضائل التي يتحلون بها ، على ما هي عليه من « المقامات والأحوال » . ولذلك تقرأ في كتاب ابن كنان الدمشقي ، وهو مخطوط^(٥٠) « وبعد ، فلما رأيت رسالة الحافظ الحدّث القدسي المختصة بأحوال السادة الصوفية مشتملةً على أعداد مكارم الأخلاق ، أحببت أن أشرحها » . والمحقّق أن الصوفي — على قول ابن عربي والسيهروردي — لا يتكامل فيه الأدب (أي « جامع الخير ») إلا إذا كان جامعاً لمكارم الأخلاق^(٥١) ؛ وذلك

(٤٨) « محاضرات الأدباء » مصر ١٩٠٨ ج ١ من ١٣٣ ي .

(٤٩) « العقد الفريد » ج ١ من ٣٤١ ي ؛ « الأمثال في مكارم الأخلاق » .

(٥٠) « مكارم الأخلاق » المذكور قبل ، من ٢ م .

(٥١) ابن عربي (وابن عربي . ط بروكسل ك ك » تنكية » ج ١ من ٧٩٠) « الفتوحات المكية » ج ٢ من ٢٨٤ ؛ « فالأدب هو الجامع لمكارم الأخلاق والمسلم يسلمها ... » (والأدب جامع الخير) ٤ . ز السيهروردي « عوارف المعارف » ج ٣ من ٩٦ ؛ « فإذا شُهِدَ ظاهر العبد وباطنه صار صوفيّاً أدبياً . وإنما سميت التّأدية مأدبة لاجتماعها على أشياء ؛ ولا يتكامل الأدب في العبد إلا بتكامل مكارم الأخلاق ... » ٤ .

لأن مكارم الأخلاق زينة الرسول ، والصوفى « أوفر الناس حظاً في الاقتداء برسول الله ، وأحقهم بإحياء سنته والتخلق بأخلاق رسول الله »^(٥٢)

ومما يلى ذلك أن تعبيراً له مثل هذه السلطان في الأخلاقيات لم يكن له بد أن يزاحم لفظين آخرين لها مكاتبتها في آداب السلوك ، وهما المروءة والفتوة . فمفردة مكارم الأخلاق من المروءة (أو المروءة) والفتوة موضع اختلاف نسبي . برهان ذلك أنك تقرأ في " شرح الموطأ " للزرقاني^(٥٣) : « قال العلائي (وهو محدث) حاصل المروءة راجعة إلى مكارم الأخلاق ، لكن إذا كانت غريزة تسمى مروءة » . ثم هذا التعالي بعد المروءة اسماً واقعاً على محاسن جمّة من مكارم الأخلاق^(٥٤) ، وهذا ابن جعدويه^(٥٥) يثبت قولاً لسفيان بن عيينة : « قوله عز وجل : خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین . فيها المروءة بمخاطبتها »^(٥٦) . (وقد رأيت فيما تقدم صاحب " العقد الفريد " ، مثلاً ، يرى في هذه الآية ملتقى مكارم الأخلاق) . ويزيد ابن جعدويه (في الصفحة عينها ، عند الكلام على اقتباس المروءة من معاني القرآن بعقب نقله

علاقته
بالفتوة
والمروءة

(٥٢) السهروردي ك ك ج ٢ ص ٣١٠ . هذا ومن العلوم أن « التصوف أخلاق

أى سلوك لا نصوص ولا علوم نظرية » ط Massignon, Essai sur les

origines du lexique technique... Paris 1932 ص ٧ .

(٥٣) مصر ١٨٩٢ ج ٢ ص ٣١٧ .

(٥٤) " مرآة المروءات " مصر ١٨٩٨ ص ٥ . والمروءة ، عند الباهلي (كتاب

الخير والأخلاق ... ص ١٣٥) « باعثة على مكارم الأخلاق » .

(٥٥) " مرآة المروءات " الخ آيا صوفيا رقم ٢٠١٩ ، ط بعد ص ٥٩ (ج) ٣ .

(٥٦) ص ٣٨ . ز الصالي " مرآة المروءات " ص ٥ .

بعض الآيات) : « ... قياساً على سائر الآيات المأمور فيها بمكارم الأخلاق ومبادئ الأوصاف ». ثم هذا صاحب (١) كتاب 'مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب'...^(٥٧) 'يُدرج المروءة (مقرونة بالسؤدد) في فصول كتابه^(٥٨) .

وأما الذي بين الفتوة ومكارم الأخلاق ، ففي 'كتاب الفتوة'^(٥٩) .
للسلمى الصوفي أن استعمال مكارم الأخلاق من الفتوة (الصوفية)^(٦٠) .
ومن ذلك ما جاء في 'مرآة المروءات' لابن جعدويه : « وسئل آخر عن الفتوة ، قال : الالتزام بمكارم الأخلاق ، وتقويض الأمر إلى الخلاق »^(٦١) .
وأما التسرى فينقل قولهم : « إن الفتوة عبارة عن مكارم الأخلاق »^(٦٢) .
ومن جرى مجراه ابن تيمية ، حيث قال في فتوى له : « صار كثير من الشيوخ يعبرون بلفظ الفتوة عن مكارم الأخلاق »^(٦٣) (وهو يريد

(٥٧) من ١١ — ١٢ .

(٥٨) قد يجد مبحث ' المروءة ... ' من ٥٩ من ١٢ ي .

(٥٩) خ آيا صوتيا رقم ٢٠٤٩ (صور هذه المخطوطة المتفرقة الأجزاء نشرت F. Taeschner . وسمح لي بالأطلاع عليها . وقد أخلص في وصفها في *Der Anteil des Sufismus... Die Islam* ١٩٣٢ المجلد ٢٤ من ٥٣ ي ي .

(٦٠) من ٨٠ .

(٦١) من ٧٦ م .

(٦٢) ' مكارم الأخلاق والعبادة ' من ٩ .

(٦٣) ' مجموعة الرسائل والرسائل ' مصر ١٣٤٩ من ١٥٢ . ط هذه الفتوى : أبو طالب علي بن أنجب تاج الدين المعروف بابن السبي الحازن ' الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعبود السير ' ط مصطفى جواد وأنشأ من ماري السكروني بغداد ١٩٣٤ ج ٩ من ٣٥٩ ي . ثم ط هذه الفتوى باللغة الألمانية : Goldziher, *Ein Fetwa...* ZDMG LXIII (1919), 127-8. J. Schacht, *Zwei neue Quellen ... in Festschrift G. Jacob*, Leipzig 1931, 217-23.

بالفتوة ههنا ما يقول له بعض المتأخرين : القروسية ^(٦٤)chevalerie .
وعلى ذلك ترى أن مكارم الأخلاق نارة تؤدى معنى الفتوة أو المروءة
كاملاً ، وثانية تفيد بعض الفتوة ، وأخرى تزيد على مفاد المروءة . وأما
الذى لا خلاف فيه فإن مدلولات مكارم الأخلاق والفتوة والمروءة جميعاً
مستقيمة على عمود واحد .

قد انتهى بنا البحث ، قبل الفصل السابق ، إلى أن مكارم الأخلاق
— فى جلتها — مجموعة الفضائل الإسلامية . غير أنه لا تعدل عن أن
تثبت أن طائفة منها — مما لا يلحق بالجانب الدينى المحض — إنما
تعود إلى آداب الجاهلية . وإليك واقعة un fait من الواقعات :

النسبة
الجاهلية

روى صاحب " الأغاني " ^(٦٥) أن بنت حاتم طي كانت فى نساء
سباها المسلمين ، فلما طلبها أحدهم إلى النبي قالت : « يا محمد ! هلك الوالد ،
وغاب الوافد ، فإن رأيت أن تخلى عني فلا تشمت بي أحياء العرب ،
فإني بنت سيد قومي : كان أبى يملك العاني ، ويحمي الدمار ، ويقري الضيف ،
ويشبع الجائع ، ويفرج عن السكران ، ويطعم الطعام ، ويفشي السلام ،
ولم يرده طالب حاجة قط ؛ أنا بنت حاتم طي . فقال لها رسول الله : يا جارية

(٦٤) طه بشر فارس " دائرة المعارف الإسلامية " ليدون ط ثانية ، مادة " فتوة " .

(٦٥) ج ١٦ ص ٩٧ . والنسخة ذاتها مروية بألفاظ مختلف فى " كنز العمال " ج ٢
ص ١٣٤ ي رقم ٣٢٦٨ ؛ " إحياء ... " ج ٢ ص ٣١٤ ، هنا راجع
فى ك (ج) ٢ : قول صاحب " الفنى عن حل الأسفار " فى ضعف
إسناد هذا الحديث .

هذه صفة المؤمن ، لو كان أبوك إسلاميًا لترحنا عليه ؛ خلّوا عنها ، فإنّ أباهما كان يحب مكارم الأخلاق ، والله يحب مكارم الأخلاق » .
 فإنّ هذا الحديث الأخير (« فإن أباهما . . . ») ، وإن لم يرد في السانيد المعتبرة بحسب ما مرّ بك ، ليشفّ عن موقف الإسلام من الجاهلية ، مهما تحدثت الناس عن تجهلها واتقياضه عنها . فالحق أن أخلاق الجاهلية ليست كلها مساوئ ، بل فيها محاسن ؛ ألا ترى ابن قتيبة في "كتاب العرب" ^(٦٦) يقول : « فإنها (أي العرب) لم تزل في الجاهلية تتواصى بالظلم والحياء والتذم ، وتعابىر بالبخل والعدو والسفه ، وتنزه عن الدناءة والمذمة ، وتندرب بالنجدة والصبر والبسالة ، وتوجب للجار من حفظ الجوار ورعاية الحق فوق ما توجه للحميم والشقيق . . . » ؟

إنما عاوى الإسلام الجاهلية من أجل دينها ، فلم ينكر من آدابها إلا بقدر ، ذلك أن آدابها لم تعمل بدين القوم ، بل بنظامهم الاجتماعي . وقد بينت في كتاب " العرض عند عرب الجاهلية " كيف كان العرض ^(٦٧) قوام تلك الآداب ، وكيف نظم الإسلام طائفة من عناصره — مثل حفظ الجوار والوفاء بالعهد والشجاعة — في سلك أحكامه الخلقية . وهل يغيب عنا أن مجموعة هذه الأحكام إنما هي مصدر الفضائل الإسلامية ؟

(٦٦) في " رسائل اليفاء " مصر ١٩١٣ ط محمد كرد علي ص ٢٨٢ . ر ضياء الدين الوصلي " المثل السائر " ص ٢١٢ ص ٦ تحت : « فإن بيت السؤال (أي : وإن هو لم يحمل على النفس ضيقها) فليس إلى حسن إنشاء سبيل » قد اشتمل على مكارم الأخلاق كلها . . . » ثم ر " القدر الفريد " ج ٢ ص ٥٠ : « فضل العرب » .

(٦٧) ط لهذه الكلمة : بشر فارس " تكملة دائرة المعارف الإسلامية " لندن ١٩٣٦ مادة " عرض " .

الخلاصة وخلاصة البحث أن هذا التعبير — في أول أمره على الأقل —
أجتنب عن علم الأخلاق المنحدر من الحكمة اليونانية ، ثم عن علم
السلوك النظري .

وعلة ذلك أنه إنما يرجع إلى الإسلام العملي ، أي اعتقاد الكتاب
بالسنة مع ما ينساب في أثنائها من الآثار الحسنة لزمن الجاهلية .
فإن تقرر هذا فالقيم *valeurs* التي ندرج تحت هذا التعبير إنما هي
صادرة عن أصول موضوعية *objectives* لا ذاتية *subjectives* ، مبذولة
للتفكير غير فائضة منها . وربما اتفق لهذا التعبير ، على مدار الزمان ، أن
يستعين الحين بعد الحين بجائين من جوانب الأدب العربي : أما الأول
فالروى من الآداب النصرانية وهو جد قليل ، وأما الثاني فهذا الزكّام
من المصادر الخنثية : من عربية ومنقولة من السريانية والفارسية
واليونانية ، المشحونة بالحكم والأمثال والنوادر . ثم إن مضمون هذه
التعبير ينسبط على أيدي المتصوفة ، حتى يتقلب مجالاً تضطرب فيه
رياضات القوم النفسانية .

ومثل هذا التعبير يعجز التعريف اللاحق بالذات *définition essentielle* ،
غير القانع بالتعيين والتخصيص . ألا تراك إذا حاولت أن تأخذ على هذا
التعبير منطقاته لتحوّله إلى نقطة معلومة ، أزهقته ؟ وذلك لأن تعبير
« مكارم الأخلاق » على جانب عظيم من اللطافة *délicatesse* واللبونة
suppléssé جميعاً . ودليل لطافته أن الذين يستعملونه ويحلّونه ويشرحونه
هيئات أن يتفقوا على تفاصيل مضمونه . ودليل لبونته أنه يبذل نفسه من
دون استكراه ولا استدعاء ، إلى الفيلسوف والتكلم والأخلاق والصوفى
والنائر حتى الشاعر ، من غير تمييز .

إلا أن هذا التعبير ليس موضع نزاع . ومعنى هذا أن الذين يُجروونه على أقلامهم لا يتنافسون في الاستثارة به . وكيف يستأثرون به وهو حِلٌّ للجميع ، من حيث إنه فوق اختلاف الآراء وافتراق المذاهب ؟ إنه مما أثر ونقل ، ومن ذا الذي لا يُرسل دلوّه في المنقول ولا يُعظم المأثور ؟

وترى الناس يحشرون تحت هذا التعبير ، القائم مقام رمز ، رِقِيماً خاصة ، على شرط ألاّ تزيغ تلك القيم عن سنّة التقاليد^(٦٨) . والحق أنه ليس من الواجب أن ينبثق مضمون هذا التعبير منه ؛ وذلك لأن التعبير نشأ مبهماً ، فضلاً عن أنه تركيب مرّجّل . بل مضمون هذا التعبير طرأ عليه من الخارج ، فكأنه إقحاح له ؛ ثم تشبث به إرادة أن يزداد بفضل السجّام ورفعة وقدره . وأما التعبير ذاته فقرأه يشبث ويقوى لأنه سند لمضمونه وشعار له .

وعلى ذلك النحو يعزى هذا التعبير إلى الرسول في غالب الأمر وأكثر الحال ، ويؤيده بعض ما في الكتاب والسنة ، ويسيره حملة الأقلام على اختلاف ألوانهم ، فتنتهي به الحال إلى أن يصير تعبيراً أخذاً يدرّ على الملة الإسلامية خيراً كثيراً .

(٦٨) مما لا يحصل ورامه أن يبدو للباحث معارضة هذه القيم بأخر ، بالقيم المسيحية مثلاً . لأن القيم الأخلاقية أو الدينية تكاد تكون من طبيعة واحدة ومرتبة واحدة — على ما هي عليه من التفار — في أطوار معينة من الحضارات . فمثل ذلك العمل (وقد أُقبل عليه لامنس Lamens ؛ ط " الحلم " في مجلة " المشرق " بيروت ١٩٣٤ من ١٨١ ي) لا ثمرة منه ، إلا إذا أراد الباحث أن ينظر في اشتقاق القيم بعضها من بعض .

والآن يحقّ لك أن تسألني : أي فائدة يجز هذا البحث إلى
الحقبة علم الواقعات الخلقية science des faits moraux ؟

والجواب أننا لم نتحص عن مجموعة واقعات faits ثابتة مبدولة
للحسن ، نمكّن الأخلاق الوضعي l'éthologue أن يرى بها رأياً في
سلوك moralité جماعة معينة أو في أخلاقياتها morale : أو قل :
أن يرى رأياً في مجموع عاداتها الخلقية ، على حسب ما تبرزها الواقعات
الاجتماعية ، أو على حسب تقدير الجماعة نفسها لها .

إنما نحن فحسنا عن تعبير أخلاقي ، بل عن أخلاقيات معبر عنها
بلفظين ، أحدهما إلى الآخر مضاف . ومعنى هذا أننا تأملنا حقيقة تاريخية
في الآداب الإسلامية ، ندل على رأى في تمييز الخير من الشر . وهذا
الرأى مداره النظر المجرد . لأن أصحابه لم يلتفتوا إلى مؤدّى الواقعة
الخلقية الحصة . فكلمهم فيلسوف أو حكيم أو صوفي أو كاتب ؛ وليس
فيهم عالم له نظر مسدد إلى أحوال جماعته ، بحيث يأتى أن يعدّ
الأخلاقيات أمراً محصوراً في معنى يخاض فيه ، أو حكم يُنبّت ،
أو قاعدة تُسوّغ .

هذا وإننا حاولنا أن نخلّص إلى ما تحت ذلك التعبير من العنصر
اللازم له ، فوجدناه : التقليد la tradition .

المروءة*

(كلمة رمـ) (١)

ما صحَّ عند أهل اللغة أن هنالك ألفاظاً ذهبت معانيها بذهاب
الجاهلية . ولم يقف هذا الإشكال اللغوي عند ألفاظ ضاع ما تحتها ،
بل انبسط على ألفاظ استترت مدلولاتها ، فصوّلت الأئمة في تحديددها على
البصيرة ، وقالت فيها بالتقريب والاحتمال . ومن هذه الألفاظ : الزمان

* نشر هذا البحث مختصراً في "نكلمة دائرة المعارف الإسلامية" لبيروت ١٩٣٧
مادة "مروءة" .

(١) قاعدة — مروءة: هي الصيغة المشهورة : ابن دريد "الجمهرة في اللغة" حيدر آباد
١٣٤٤ ي ي ج ٣ ص ٢٨٩ (وجمعها مروءات) — ولك أن تشدد فتقول :
مروءة (وجمعها مروءات) : "الصحاح" مصر ١٢٩٢ ج ١ ص ٢٣ .
الجرجاني "التعريفات" ط Leipzig ١٨٤٥ ص ٢٢٤ . الجليلي "طبقات
الفنن" في "مجموعة رسائل" مصر ١٣٤٢ ص ١٨٧ . "ديوان
الشاعر . . . الأنصاري" ط de Goeppe ليدن ١٨٧٥ ص ٣٥ . Goldziher .
Muhammedanische Studien. Halle ١٨٨٩ ج ١ ص ١ — ٤٠ .
ابن جعدويه "مرآة الروايات" ط بدمس ٥٩ ص ٦ ي ي — ولما المرؤة
(بهزنة مرسومة فوق الواو) خطأ ، كما في Freytag. Lexicon
ج ٤ ص ١٦٥ ص ٢ ، ١٧ . ابن خلدون "مقدمة" ط Quatremère
باريس ١٨٥٨ ج ٢ ص ٣٠٤ . "قيمة الدهر" دمشق ١٨٨٥ ج ٤
ص ٢٠٦ . الهذلي "الألفاظ السكانية" ط شيخو ، بيروت ١٩١٣ ص ١٠٩ .
(٤)

والخير ، والغنى والفقر ، والكرم والبؤس^(٢) .

والذى أذهب إليه أن المروءة تلحق بهذه الألفاظ المشبهة ؛ وإليك بيان ذلك :

لو كانت المروءة واضحة المعنى ما عثرنا على تعريفات لها لا يكاد يقع بعضها على بعض ، ولا أصبنا أقوالاً فيها ربما تناقضت بل تدافعت . ولولا ميلى إلى الاختصار لست هنا عدداً غير قليل من تلك التعريفات والأقوال : ودونك مواضعها (فضلاً عن المعجمات المختلفة) :

ابن عبد ربه " العقد الفريد " مصر ١٢٩٣ ج ١ ص ٢٢١ .

ابن قتيبة " عيون الأخبار " مصر ١٩٢٥ ج ١ ص ٢٢٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ .

الأصفهاني " محاضرات الأدباء ، ... " مصر ١٣٢٦ ج ١ ص ١٤٥ .

الباهلي " الذخائر والأعلاق في آداب النفوس ومكارم الأخلاق " مصر ١٢٩٨ ص ١٣٥ .

السنقي " روضة العقلاء ، ... " مصر ١٣٢٨ ص ٢٠٥ .

النعالي " مرآة المروءات " مصر ١٨٩٨ (الطبعة رديئة) .

الجاحظ " البيان والتبيين " مصر ١٣١١ ج ١ ص ٢١٢ .

الحصري " زهر الآداب " ط ثانية لزكى مبارك ج ١ ص ٨٩ .

الزرقاني " شرح الموطأ " مصر ١٨٩٣ ج ٢ ص ٣١٧ .

الغزالي " إحياء علوم الدين " مصر ١٣٤٨ ج ٣ ص ٢١٣ .

(٢) ط ابن فارس " الصالحى " مصر ١٩١٠ ص ٣٤ .

- الملاوردي " أدب الدنيا والدين " مصر ١٩٢١ ص ٢٤٥ ي ي .
 المبرد " الكامل " مصر ١٣٣٩ ج ١ ص ٣٥ .
 المتقي " كنز العمال " حيدر آباد ١٣١٢ ج ١ ص ٨٤ ، ١٦٢ ي .
 الميداني " مجمع الأمثال " مصر ١٣٤٢ ج ١ ص ٥٢ .
 الوشاء " الموشى " ط Bruennow ليون ١٨٨٦ ص ٣٠ ي ي .

ابن جعدويه علي بن الحسن هـ (١) " كتاب مرآة المروءات " خ
 القسطنطينية آيا صوفيا رقم ٢٠٤٩ ورقة ٣٥ — ٧٧ . (ألف هذا
 الكتاب للوزير نظام الملك ٤٥٦ — ٤٨٥ .)

الأردبيلى أخى أحمد المحب بن شيخ محمد بن مياثيل هـ (١) " باب
 فى بيان المروءة " من " كتاب الفتوة " خ آيا صوفيا رقم ٢٠٤٩ ص ١٠٦ .
 مجهول " فصل فى المروءة " خ آيا صوفيا رقم ٢٠٤٩ ص ٢٠٦ .
 مجهول " مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب وبدائع الأوصاف وغرائب
 التشبيهات " خ ليدن رقم ٤٠٩ (فى فصل " السؤدد والمروءة ") ص ١٢ م (٢) .

(٣) المخطوط الأول لابن جعدويه فيه ٤١ بابا . وقد حذا المؤلف حذو الثعالبي
 فى كتابه المذكور قبل : " مرآة المروءات " بل حسه . غير أنه انصرف
 إلى الناحية الدينية ، والصوفية خاصة . ووصف هذا المخطوط : تيشير
 F. Taeschner. Der Artikel des Sufismus an der Führung des
 Futuwwatideals فى مجلة Der Islam ١٩٣٧ المجلد ٢٤ ص ٤٧ ي ي .
 (ط بروكلمان Brockelmann " تكملة تزيح الآداب العربية " ليدن ١٩٣٧ ج ١
 ص ٧٧٣) — المخطوط الثانى للأردبيلى نجد وصفه فى Taeschner ل ك ص ٥٨ .
 وكلام الأردبيلى فى (الفتوة) والمروءة داخل فى الصوف . ويذكر الأردبيلى
 فى كتابه السلى هـ ٤١٢ ، صاحب " كتاب الفتوة " ، والفشيرى هـ ٤٦٥

ولقد صرح أبو حاتم البستي بتضارب تلك التعريفات والأقوال
إذ يقول : « اختلف الناس في كيفية المروءة »^(١) . فكان العرب
أنفسهم لم يطمئنتوا إلى مدلول المروءة ، ولم يتواضعوا على تعريف لها .
وأكبر دليل على أن معنى المروءة أشكل على المسلمين أن معاوية
سأل وفداً — في غير مروءة — قال لهم : « ما تعدون المروءة ؟ »^(٢) .
ونحن اليوم لا نستطيع أن نحدد معنى المروءة . فإيتنا يقوى على أن
يعرفها التعريف الحقيقي *définition réelle* الناهض على التمييز ، في قول
يونس بن حبيب : « ليس تعي مروة » ، مضافاً إلى قول عمر بن الخطاب :
« تعلموا العربية فإنها تزيد في المروءة » ، وقول معاوية : « المروءة احتمال
الجريرة ، وإصلاح أمر العشيرة » ، وقول الأحنف : « لا مروءة لكذوب » ،
وقول القائل : « المروءة النظافة وطيب الرائحة » ، وقول بعضهم : « المروءة
كثرة المال والولد » ، أو : « المروءة حسن الخيلة في المطالبة ، ورقة الظرف
في المكتابة » ، وقول الثوري : « المروءة بذل الندي ، وكف الأذى ،
 وترك الهوى ، والزهد في الدنيا ، وطاعة المولى »^(٣) . وأما قول بشار :

صاحب " الرسالة " ؟ فهو إذن لاحق لها . وقد نشرت هذا المخطوط الثاني
في مجلة " الفتى " أبريل ١٩٣٩ من ٤٦٩ — ٤٧١ : " المروءة ، مصدر مطوى "
— المخطوط الثالث تجد وصفه في Taeschner, *Palaeographica-Studien* في مجلة
Islamica المجلد ٥ ١٩٣٢ من ٣١٨ — المخطوط الرابع تجد مذكوراً في
Doxy. Cat. Cod. ar. 309-1. 309 sq. وقد نشرت المخطوطان الثالث والرابع
في مجلة " الرسالة " مصر ١٩٣٩ السنة ٧ العدد ٢٩٧ من ٥٢٢ — ٥٢٤ :
" المروءة ، مصدر مطوى " .

(١) روضة البلاء " من ٢٠٧ .

(٢) العقد الفريد " ج ١ من ٢٢١ .

(٣) تجد هذه النصوص في الكتب المذكورة قبل ، من ٥٨ ي .

ولا بد من شكوى إلى ذى مروءة يواسيك أو يسليك أو يتوجع
قلعري لولا أن بشار بن برد فصل المعنى في الصراع الثاني ،
ما أدركنا ما يريد بذى المروءة .

ولعل معترضاً يقول : إن المروءة تقيد السيادة ، والمرء السيد . ودليله
على ذلك مشتقات مادة م ر ء الآرامية (ولا سيما اسم الفاعل منها) ،
من حيث إنها تقيد — على وجه التخصيص — « السيادة وعز السيد
وكرمه »^(٧) . ولربما عزز المعترض دليله — بعد هذا — بوقوع "باب المروءة"
في كتاب "السؤدد" من "عيون الأخبار" لابن قتيبة .

والرد على هذا الاعتراض أن ابن قتيبة لم يثبت في "باب المروءة"
إلا قولاً واحداً تنزع فيه المروءة إلى السيادة^(٨) . وهذا القول لا يصعد
إلى الجاهلية . هذا فضلاً عن أن لفظة مرء^(٩) وهي اللفظة النافذة إلى
« مرءو » الآرامية — من حيث الاشتقاق — إنما مفادها الإنسان في

(٧) ط. سمجات Payne Smith, Margoliouth, Brun, Brockelmann ، ثم
الترداسي "الباب" بيروت ١٨٩١ ج ٢ ص ٧٨ ؛ الطران يوسف داود
"اللغة النحوية" . . . "الموصل" ١٨٩٦ ج ١ ص ٣٦٩ . ز. Bruce في المجلة
الألمانية ZDMG ١٩١٣ ص ٣٤٢ ي. ي .

(٨) قول مسلمة بن عبد الملك : « مروءتان ظاهرتان : الرياسة والفصاحة » ص ٢٩٦
س ١٠ . وزد على ذلك أن ليس في "فصل في السؤدد والمروءة" من
مخطوط لندن "مكارم الأخلاق" . . . قول يصعد إلى الجاهلية .

(٩) ورد ٢ مر ، و ١ مر ، ط لأنواع كتابة هذه اللفظة الأخيرة :
Fischer, Imra' alqais... في مجلة Islamicica ١٩٢٥ ص ١ — ٤١ ،
٣٦٥ — ٣٩٠ . ونصيف مرء : « مرءى » ط ابن دريد "اشتقاق"

Goettingen ١٨٥٤ ص ٢٢٩ س ١٦ .

العربية^(١٠)؛ وشاهد هذا في القرآن^(١١) ثم في الشعر الجاهلي^(١٢). بقي أن
لقطة امرأة، مؤنث امرئ^(١٣) تفيد المرأة على وجه عام^(١٤) أو زوج الرجل^(١٥).
ومن هنا يتبين أن المروءة لم تعد — أول الأمر — السيادة، حتى
تتضمن، على تعاقب الأيام، السجاية الرفيعة (سجاية السيد مثلاً)،
من قبيل ابتذال اللفظ أو التوسّع في القول. بل أكبر الظن أنها ضمت،
أول ما ضمت، محاسن خلق الإنسان. ثم — من طريق التجريد
والجواز — محاسن خلقه^(١٦).

- (١٠) "تاج العروس" ج ١ ص ١١٧ تحت "ز" اللفظ الألماني Mensch.
(١١) مثلاً: سور ٢، آ ٩٦؛ ١٩؛ ٣٩؛ ٢٤؛ ١١؛ ٥٣؛ ٢٦؛ ١٨؛ ٤١؛ ٨٠؛ ٣٤.
(١٢) مثلاً: "جبهة أشعار العرب" مصر ١٣٠٨ ص ٥١، ٩٩، ١٠٤، ١١٨، ١٣٦. "مجلسة البهيمى" مصر ١٩٢٩ ص ١٤٧، ١٤٨، ١٥٥، ١٧٨، ٢٥٢، ٢٨١، ٢٣٦، ٣٤٣، ٣٥٨. "الفضليات" مصر ١٩٢٦ ص ١٠٥، ١٠٧.
(١٣) "تاج العروس" ج ١ ص ١١٧.
(١٤) ز "القرآن" سور ٤ آ ٥، ٢٨، ٢٣، ٣٣، ٤٩.
(١٥) "القرآن" سور ١٩، آ ٥٩؛ ٦٦، ١٠، ١١.
(١٦) ز اللقطة المأثورة: الرجل (ط "تاج العروس" ج ١ ص ١١، ١٢).
والذكر قول عامة مصر: "هالان دا راجل"، "واسكن ما معنى دا راجل؟" ههنا؟
أفلا يختلف باختلاف التكلم والمخاطب والتعارف؟
في "فصل في المروءة" (ط "إرشاد" السنة ٧ العدد ٢٩٧ ص ٥٣٣ ي)
تأويل لا يتفق المروءة طريق. ويحتمل أن المروءة اشتقاق من الأول من دمر
النظام والمرأة إذا تخصّص بشرى. موافقة الفاعل... فلي هذا يكون. جداً للانفعال
المستعنة كالإنسانية. والثاني أن يكون من المرء فيجعل اسماً للمحاسن التي
يخص بها الرجل دون المرأة، فيكون كالرجولية وذلك أنس من الإنسانية إذ
الإنسانية يشترك فيها الرجل والنساء، والمروءة أنس بكثير.

وأقرب الظن أنك تصيب في الأقوال والتعريفات التي تقدم ذكرها
جانبيين متضادين ، كلاهما معقود بالآخر : الأول حسى ، والثاني معنوى^(١٧) ؛
وهذا غلاب على ذلك . وكأن مروءة الجانب المعنوى تتصل بمكارم
الأخلاق ، ومروءة الجانب الحسى تتعلق بشؤون الحياة المادية .

والذي أذهب إليه أن الجانب الحسى ينحدر من زمن الجاهلية ؛
وأما الجانب المعنوى فصدره الإسلام . ومما يحيلنى إلى هذا الرأى خبر
يسوقه صاحب " الأغاني " (١٨) نلس فيه تقابل المروءتين ، مروءة الجاهلية
ومروءة الإسلام : روى أبو الفرج ، قال : دخل عيينة بن مرداس
الشاعر الهجاء على عبد الله بن عباس عامل على بن أبى طالب على
البصرة ، فقال له ابن عباس : « ما جاء بك إلى ؟ » ، قال : « جئتك
لتعطينى على مروءتى ... » : قال : « وما مروءة من يعصى الرحمن ، ويقول
البيهان ؟ والله لئن أعطيتك لأعينتك على الكفر والعصيان ... » (١٩) .

(١٧) أمثلة : « المروءة العفاف وإصلاح الخبث » ، « إنا معصر فرس نعبد العفاف
وإصلاح المال مروءة » . « المروءة تقوى الله وتقدم الضيعة » (" العقد الفريد " ج ١ ص ٢٢١) . « المروءة إصلاح المال والزكاة فى المجلس والعناء والعناء
بالفناء » (" عيون الأخبار " ج ١ ص ٢٩٥) . « المروءة أن يعزل الرجل الرية ...
وأن يصلح ماله ... وأن يقوم لأهله بما يحتاجون إليه ... وأنت بتقار فيما
يوافقه من الطعام والشراب ... » (" الموشى " ص ٣٢) . أو قل هناك مروءة
ظاهرة ومروءة باطنة : قال عمر بن الخطاب : « المروءة الظاهرة الرياش والمروءة
الباطنة العفاف » (" العقد الفريد " ج ١ ص ٢٢١ . ز " البيان والتبيين " ج ١ ص ٢١٢) .

(١٨) مصر ١٢٨٥ ج ١٩ ص ١١٣ ي .

(١٩) لنذكر هنا أن الإسلام قام فى وجوه التمرد بسبب هجائهم . ط مصر فرس
" تكملة دائرة المعارف الإسلامية " لندن ١٩٣٦ مادة " هجاء " .

ومجمل خبر "الأغاني" أن عبيدة بن مرداس كان معوزاً ، فقصده إلى عبد الله بن عباس يسترفده ، ويرغب إليه أن يعينه على مروءته (٢٠) ، فردّه ابن عباس لانتهاكه إياه في مروءته . والذي يتحصل من هذا الخبر أن المروءة عند ابن مرداس ترجع إلى المعاش ؛ وأما ابن عباس فقد نظر إليها بمعنى المسلم ، فزهاها عن المادة ، وأزهاها منزلة الضلّك الحسن . غير أنه من المنعذر أن نجزم بأن المروءة كانت مقصورة على الجانب المادى من الحياة فى الجاهلية ، لأن الألفاظ — على وجه العموم — تنتقل بالتدرج من المحس إلى المعنى . والدليل على هذا أن لفظة امرأة كانت تفيد فى ذلك العهد المرأة الكاملة (٢١) . وأذكر ، زيادة على ما تقدم ، هذا البيت الجاهلى المشهور :

إذا المرء أحمته المروءة يافعاً فطلبها كهيلاً عليه شديد (٢٢)

(٢٠) أى : يعطيه حتى لا يشتهى طعام غيره . وإليك مرجع هذا التفسير : قال عمر ابن عبادة : عليكم بمباكرة الغداء ، فإن فى مباكرة الغداء ثلاث خلال : يطيب الفكهة ويظنّ المرءة ويعين على المروءة . وقول : وما لحاقته على المروءة ؟ قال : لا تنوق النفس إلى طعام غيره . ("الموسم" ص ٣٢ من ٧ ي . ز "مرآة المروءات" ص ١٥ من ١٢ ي) . ثم ز ، لطايل المروءتين ، قول الزبركى : وما تبلغ مروءتى إلا أن آكل وألبس ، يوم ذهب إلى عمر ابن الخطاب يشكو إليه عياله الخبيثة ("الأغاني" ج ٢ ص ٥٥) .

(٢١) الزمخشري "كتاب التانيق" جدرآباد ١٣٢٤ ج ٢ ص ٢٤٣ . ابن الأثير "النهاية فى غريب الحديث والأثر" مصر ١٣١١ ج ١ ص ٨٧ .

(٢٢) "حاسة أى تمام" ط Prestage ص ٥١١ . البغدادي "خزانة الأدب" مصر ١٣٤٩ ج ٣ ص ١٩٧ ي . "عيون الأخبار" ج ١ ص ٢٤٧ . النعماني فى "مرآة المروءات" ص ٢٦ . يتعلل هذا البيت (؟) مع إيراد قافية "قبل" بدلاً من "شديد" . ز بيت آخر لحسان بن ثابت "شرح ديوان ... " مصر ١٩٢٩ ص ٣٧١ :

نسبته ذا النال القليل إذا بدت مروءته فينا وإن كان معددا .

ولكن المروءة في هذا البيت مغلقة غامضة ، وإن كان مفادها موقوفاً على الجانب العنوي^(٢٣) . وعلى أية حال فلو كان للمروءة مدلول واضح في الجاهلية لتسايرت أقوال المسلمين فيها والتفت تعريفاتهم لها على معنى أصلي ، فما جاءت على ذلك الجانب من التباعد والتناقض . وكأن الحسنى والعنوي جميعاً أخذاً يتجاذبان المروءة أيام الجاهلية ، فلم تقوَ على الاستقرار والثبات .

والظاهر أن المروءة لم تبلغ مبلغها من العنوية إلا بالإسلام . ولعل المسلمين أنزلوا المروءة منزلة مكارم الأخلاق^(٢٤) استناداً إلى هذه الأحاديث^(٢٥) :

أ — « إن كان لك خلق فلك مروءة »^(٢٦) .

ب — « لا دين إلا بمروءة »^(٢٧) .

(٢٣) وسبكون شأنها كذلك فيما بعد . مثلاً : أبو تمام " ديوان " مصر ١٢٩٢
ص ١٤٦ . البحتري " ديوان " بيروت ١٩١١ ص ٢٥٠ . المتنبي " ديوان " برلين ١٩٦١ ص ٥٦ .

(٢٤) ظ " مرآة المروءات " ص ٢ ؛ ولا سيما " مخرج الموطأ " ط قبل ص ٥٩ موق .
وارجع إلى قبل ص ٥٠ ي ي ، للصلة التي بين المروءة و مكارم الأخلاق .

(٢٥) كتب إلى المستشرق أ . ي . وفسينك Wausinck (ز قبل ص ٤٠ ي) يقول :
إن هذه الأحاديث مما لم يدون في الصحاح . وأخبرني أيضاً الأستاذ محمد عبد الباقي —
صاحب " تفسير النقرة " بكتاني مفتاح كنوز السنة " مصر ١٩٣٥ ، ونقل
كتاب " مفتاح كنوز السنة " مصر ١٩٣٣ — قال : إن لفظة المروءة
لم ترد في الأحاديث المدونة في أصول السنة .

(٢٦) " عيون الأخبار " ج ١ ص ٢٩٥ . " الموشى " ص ٣١ .

(٢٧) " القصد الفريد " ج ١ ص ٢٢١ . (وهو حديث منسوب أيضاً إلى الحسن
في " عيون الأخبار " ج ١ ص ٢٩٥) .

ح — « مروءة (المؤمن) عقله » (٢٨).

و — « ليأتين على الناس زمان تقتصر فيه المروءة ، وتندق فيه الأخلاق ، ويستغنى الرجال بالرجال والنساء بالنساء ، فإذا كان كذلك فانتظروا العذاب صباحاً ومساءً » (٢٩).

(٢٨) ابن أبي الدنيا " مكارم الأخلاق " مخ برلين رقم ٥٣٨٨ ص ٦ م ، ز ابن جعدويه "مرآة المروءات" ص ٣٨ م تحت ، ثم : « مروءة (الرجل) عقله » : "روضة العقلاء" ص ٢٠٥ — وهذا الحديث منسوب أيضاً إلى عمر بن الخطاب في رواية أخرى : « مروءة المؤمن خلقه » في " شرح الموطأ " ص ٣١٧ ، ز كثر المال ص ١٦٣ . وفي الحراشلي " مكارم الأخلاق ومعالها ... " ص ١٣٥٠ ص ٤ : « ... عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : كرم المرء دينه ، ومروءته عقله ، وحسبه خلقه ... وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : حسب المرء دينه ، ومروءته خلقه ، وأصله عقله » .

(٢٩) ابن جعدويه "مرآة المروءات" ص ٣٨ م تحت .
وهناك أحاديث أخرى :

أ — الأردبيلي " باب في بيان المروءة " (ط " المصنف " أبريل ١٩٣٩ ص ٤٧٠) :
« وقال النبي صلى الله عليه وسلم : سنة من المروءة ، ثلاثة منها في الحضر وثلاثة في السفر . فأما المروءة في الحضر فتلاوة كتاب الله تعالى ، وصحابة مسجد الله ، واتخاذ الإيخوان في الله . وأما المروءة في السفر فبذل الزاد ، وحسن الخلق ، وكثرة الزجج في غير معصية الله » . ز في " المعقد القريد " ج ١ ص ٢٢١ قول ربيعة الرأي : « المروءة ست خصال ، ثلاثة في الحضر وثلاثة في السفر . فأما التي في السفر فبذل الزاد ، وحسن الخلق ، ومداعاة الرفيق . وأما التي في الحضر فتلاوة القرآن ، ولزوم المساجد ، وعفاف الفرج » .
ب — في " عيون الأخبار " ج ١ ص ٢٩٥ : « قال رسول الله : ورثوا ذوى المروءات عن غيراتهم ، فوالذي نفسي بيده إن أحدهم يعثر وإن بدله لفي يده الله » . ز " المعقد القريد " ج ١ ص ٢٢١ .

ج — في " مكارم الأخلاق ... " مخ ليدن (ط " الرسالة " السنة ٧ العدد ٢٩٧ ص ٥٣٣) : « قال النبي : تحابوا عن عقوبة ذوى المروءة ما لم يقع حداً ... » .
د — في " منتخب كثر المال " بهامش " مسند " ابن حنبل مصر ١٣١٣ ج ١ ص ٢٨٤ ، حة أموال منسوبة إلى النبي ، تحت كلمة المروءة .

عظم شأن الرواة منذ مطلع الإسلام لتسلط المعنوية عليها . وإذا نحن
تعقبناها ، على كثر الزمان ، رأيناها تنتقل — على الجملة — من موضع إلى
موضع ، والمعنوي لازمها . ودونك تفصيل ذلك^(٣٠) :

تقيد الرواة في عهد الخلفاء الراشدين : العفاف^(٣١) ، وإخلاق الحسن^(٣٢) ،
والإتقان بأوامر الله^(٣٣) .

وأما في عهد بني أمية ، فكانت تجمع بين سياسة الملك^(٣٤) ، ودهاء
السلطان^(٣٥) ، والعمل ، والعفة^(٣٦) ، والوفار^(٣٧) ، والرقّة ، ولين الجانب^(٣٨) .

وأما في العصر العباسي الأول ، فاحتلت الفضل^(٣٩) ، وقابليت البدانة^(٤٠) ؛
ثم أوردت ضياعها « رقة الشأن ، وسخف المنزلة »^(٤١) . ومن هذه الوجبة
وافقت الأدب (بمعنى حسن السلوك) عند الأخلاقيين^(٤٢) : وقد

(٣٠) رأيت أن أغفل بعض مصادر النصوص التي أستخرج منها دلالات الرواة ، إذا
كانت هذه المصادر مما أثبتته في مستهل البحث .

(٣١) قال عمر بن الخطاب : « الرواة الباطلة العفاف » .

(٣٢) قال عمر بن الخطاب : « مروءة المرء خلقه » . (٣٣) راجع خبر « الأغاني » قبل .

(٣٤) قال معاوية : « الرواة أحقّال الجريرة وإصلاح أمر الشيرة » .

(٣٥) قال عبد الملك بن مروان : « الرواة موالاة الأكفأ ، ومداينة الأعداء » .
وقال معاوية : « (الرواة) لإطعام الطعام ، وغرب الهام » .

(٣٦) قال الأحنف : « الرواة العفة والحرفة » .

(٣٧) قال الأحنف : « كثرة المزاج تذهب الرواة » .

(٣٨) راجع بيت يشار قبل . ط الفرغى « بشار بن برد ... » مصر ١٩٢٥ ص ٧٠ .

(٣٩) ابن المقفع « كتابه ودمنة » بيروت ١٨٩٩ ص ٢٦٦ .

(٤٠) عن الأصمعي : « عيون الأخبار » ج ١ ص ٢٩٦ .

(٤١) ابن المقفع « الأدب الكبير » مصر ١٣٣١ ص ٧٠ .

(٤٢) أنب صالح بن جناح (ط مجلة « القفص » سنة ١٩٣٠ ص ٦٤٩) رسالة عنونتها
« الأدب والرواة » نشرها محمد كرد علي في « رسائل البلقاء » مصر ١٩١٣ ص

٣٠٢ — ٣١٤ . ومما قاله صالح بن جناح هذا : « أصل الرواة الخزم ونميرها الظاهر »

(عن « تاريخ ابن عساكر » . ط مجلة « الجمع العلمي العربي » المجلد ١ ج ١ ص ٣٢) .

اتفق للفظ الأدب أن تقرأ بلفظة المروءة غير مرة^(٤٣) ؛ وعلى هذا
كتاب الأدب والمروءة لصلاح بن جناح .

ثم مضى الزمن فصارت المروءة عند أهل اللغة : « الإنسانية »^(٤٤)
و « السرو »^(٤٥) و « كمال الرجولية »^(٤٦) . هذا من شق ؛ وأما
الشيء الآخر ، فقد سدت المروءة عند الأخلاقيين مدًى الفضائل
الإسلامية^(٤٧) ، أو قامت « لفظاً لمعان كثيرة ، واسماً واقفاً على محاسن جمة
من مكارم الأخلاق ومبادئ الأوصاف ... تجمع مناقب الملوك
والوزراء ... »^(٤٨) ، أو أخذت ، بتقديم علم الكلام ، تحت مكاناً
رفيعاً في الأخلاقيات النظرية ، جامعة بين « حقوق وشروط معينة
قائمة في الوهم حساً ، وظاهرة بالفعل ، وخافية بالتغافل ، وواجبة حدساً »^(٤٩) .
وما زالت المروءة تسير في طريق الأخلاقيات ، وترقى في ميدان

(٤٣) عند عبد الحميد الكاتب قديماً ط ابن خلدون "مقدمة" بيروت ١٩٠٠ من ٢٤٨ من ٤١٠
"مرآة الرواة" من ١٢ من ١٢ ي ، من ٢٥ من ٤ ي ي تحت .

(٤٤) الجوهرى ٣٩٨ سنة ٣٩٨ "الصحيح" ج ١ من ٢٢ .

(٤٥) عن أبي زيد الأنصاري : ابن سيده ٤٥٨ "المفردات" ج ٣ من ١٢ .

(٤٦) عن الصغاني (أو الصغاني) ٦٥٠ : "تاج العروس" ج ١ من ١١٧ من ٤ .

(٤٧) قال البسي ٣٥٤ : "روضة العقلاء" من ٢٠٨ : « والمروءة عندى خصلتان .
أحدهما ما يكره الله والسلفون من الفعل ، واستعمال ما يحب الله والسلفون من
الحصل » . ز السيوطي "شرح موطأ مالك" مصر ١٤٤٨ ج ٢ من ٢١١
(قول ابن عبد البر) .

(٤٨) البجلي ٤٢٩ : "مرآة الرواة" من ٢ . ز ابن جندويه من ٣٦ م ٤
البجلي ٥٤٤ : "الخير والأعلاق" من ١٣٥ : « المروءة جامعة لأشتات المبرات » .

(٤٩) ومن الصروط : اللغة والزراعة والحياة الخ . (الماوردي ٤٥٠ : "أدب الدنيا
والدين" من ٢٧٧) . ز البجلي من ١٣٥ ي .

التجريد ، حتى آل بها الأمر أن نزلت منزلة الفضيلة عند أهل اللغة ^(٥٠) وأصحاب الحكمة الخلقية ^(٥١) على السواء .

ويتصل بهذا أن رجال القضاء الشرعى يعدون المروءة « الارتفاع عن كل ما يرى أن من تخلق به لا يحافظ على دينه ، وإن لم يكن حراماً » ^(٥٢) .

ومما يلى ذلك كلمة أن المروءة في الأندلس حُرِّقت ، على الزمن ، إلى مروءة و مِروءة ، وقامت لها صفة : مَرُوءى ^(٥٣) ، تدل على أدب المعاملة ولطف المعاشرة ^(٥٤) .

وأما المروءة في لغة العامة لهذا العهد ، فباقية على وجهها في النطق في قول مصر : « فلان ما عندوش مِروءة » ، وهي تقابل في هذا الموطن الدناءة وتفيد الجود والمساعدة ؛ ومن هنا تعبير : « مروءتى » ^(٥٥) . نعم إنها تنحرف عن وضعها الأول في قول أهل الريف لمصر : « فلان ما عندوش مِروءة » ؛ ومثله قول أهل سورية : « فلان ما له مِروءة » . وأما

(٥٠) « والمروءة آداب فسانية تحمل مراعاتها الإنسان على الوقوف عند محاسن الأخلاق وجبل الماديات » (القيوس) ٧٧٠ "المصباح المير" مصر ١٩١٢ من ٨٨٧ .

(٥١) « المروءة هي قوة للنفس تبدأ لصدور الأعمال الجليلة عنها المستنبعة للمدح شرعاً وعقلاً وعرفاً » (الجرجاني) ٨١٦ "التحريفات" مصر ١٩٨٣ من ١٤١ .

(٥٢) Eagnan, Additions aux diction. arabes. Alger 1923 من ١٦٣ .

(٥٣) وكان هذا البناء محرف عن البناء التصحيح : مِروءى ، كما في "قاموس" ج ١ من ٢٣ .

(٥٤) Schiaparelli, Vocabolista... Firenze 1871 من ١٨١ ، ٢٢٨ ، ١٢١ ي .

Dozy, Suppl. aux diction. romanes, Leyde 1881 ج ٢ من ٥٧٨ .

(٥٥) وهذا اللفظ تركي الصيغة .

مفاد المروءة في ذنبك القولين ، فالقوة والنشاط . ولهذا المفاد أصل في
فصيح الكلام^(٥٦) .

بقى أن المروءة انتهت إلى اصطلاحات المتصوفة . ألا ترى إلى النصراবাদى
كيف عدها « شعبة من الفتوة »^(٥٧) ؟ ثم ها هي ذى تنجذب تحت
قلم ابن جندويه إلى الفتوة الصوفية^(٥٨) . ومما لا شك فيه أن الفتوة
والمروءة لفظان متجاوران في صفحة الأخلاقيات . برهان هذا أنهما كثيراً
ما يردان مقرونين^(٥٩) . إلا أن التحقيق أن المروءة تميز من الفتوة ،

(٥٦) قال المتنبي بالله : أنا والله لا أرى الدنيا تلى بهنى ومرونى ؟ (التاليفي
أطلسن كلام النبي والصحابه والائمة والائمة Spatana
Dictionnaire ط Valetan لندن ١٨٨٤ من ٢٨ من ١٦) .

(٥٧) الرسالة القشيرية * مصر ١٢٧٧ من ١٢١ من ٢١ . (النصراবাদى ٣٧٢)

(٥٨) « مرآة الرواة » ص ٢٩ ي . وأرجع هنا إلى Taeschner. Der Adel
des Sufismus an der Formung des Fuluwwatideals ، ط قبل من

٥٩ (ج) ٣ . وكذلك تحت قلم الأردبيلي على ما مر بك (ج) ٣ .

(٥٩) التاليفي « مرآة الرواة » من ١٥ من ١ ي تحت من ٢٣ من ١ ص ٢٤ من ٦

من ٢٥ من ٢ من ٢٦ من ١٢ . « الموشى » من ٢١ من ١٣ .

Fleisher. Ali's Handed Speeches, Leipzig 1837 من ٧ من ١ ، ٨

من ١٥ من ١١ من ٢٥ من ١٣ من ٢٩ من ١ . آتلفت « فهرس » . . .

ج ٥ من ٣٠ ، ٣١ رقم ١٧ ، ٢٢ . الأصفهاني « محاضرات الأدباء » ج ١

من ١٤٥ . الجاحظ « رسالة في طبقات الفنانين » في « مجموعة رسائل »

مصر ١٢٣٤ من ١٨٧ تحت . البامى من ١٤٧ تحت . الخرنبري « تحفة الوصايا »

ج الفسطاطية . آيا سونيا رقم ٢٠-١٩ ، أرجع إلى F. Taeschner. Der

Anteil... من ٦٥ ، ورجع ذاتها من ١٠٦ ، ١٠٨ . وفي « مرآة الرواة »

لابن جندويه باين : أولها « ما قيل في المروءة ومعاني الفتوة » من ٢٨ م — ٣٩ م ،

والثاني في « الفتوة وما سألوا عنها » من ٢٥ م — ٧٧ . لا لافتران اللفظين أبداً :

ذ من ٣٥ م ، ٣٦ م .

من حيث إنها ذهبت مذهباً بعيداً مستقلة عن التصوف ، بما هي en tant que مفردة من مفردات اللغة ومذكر أخلاق^(٦١) notion éthique ، على ما قدمته . ثم هذا أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني ، ٤٠٤ يقول في « كتاب الجواهر في معرفة الجواهر »^(٦٢) : « ترويح المروءة تقتصر على الرجل في نفسه وذويه وحاله ، والفتوة تعداه وإياها إلى غيره » ، ثم فصل الكلام فوصف الفتوة بالابتناء^(٦٣) وبذل النفس ، إلى غير ذلك من الصفات التي تقرّبها من مفاد لفظة chevalerie عند الفرنجة . والنتيجة أن بين الفتوة والمروءة وشائج من قبل الأخلاقيات . وإن اختلف كل منهما بدلولات مستقلة في النهاية^(٦٤) .

وخلاصة البحث أن لفظة المروءة — لموضيها أصلاً وما ظفرت به من المراتبة من طريق هذا الفيض ، ثم لخاصيتها المجردة التي استقرت وثبتت بفضل الإسلام — أفلتت من المادة لتسير كلمة من الكلم الروامز ، حتى إنها نافست مفردات لا شأن للحسن في معانيها الغالية ؛ مثال :

(٦١) F. Tasschmer. Die islamischen Fatawaschwabunde, ZDMG 1933 ص ١٩ ، ٢٧ . ن. Der Anteil... ص ٤٧ ي ي .

(٦٢) خ برلين والمخطوطية . تجد العمل الحاس بالمروءة والفتوة مطبوعاً ومنقولاً إلى اللغة الألمانية : Tasschmer. Der Anteil... ص ٦٩ ي ي . وراجع " الجواهر " ... ط Krenkow ، جبر آباء الدكن ١٣٥٥ ص ١٠ .

(٦٣) ز هنا قول ابن حزم ٤٥٦ : " مداواة النفوس ... " مصر ١٣٢٣ ص ٢٦ : ٥ وأن تكون الشاعرة مروءة لأهل الأوصاف البادرين إلى المساعدة والابتناء .

(٦٤) ط بصر فارس " دائرة المعارف الإسلامية " ط ثانية ، لندن ، مادة " فتوة " .

الشرف ، والسودد ، والعرض ، والسكرم^(٦٤) ، والفتوة . ثم إنك ترى هذه اللفظة تستغرق طائفة من الدولات والقيم ودقائق التعبير ، من دون أن تنال من وراء ذلك فسطاً من الدقة والنبط .

فإذا تقرر ما تقدم فمن المتعذر أن نذهب مذهب المستشرق جولدزيهير^(٦٥) Goldziher . ذلك أنه يُنزل المروءة — من باب التخيّل — منزلة الفضيلة *virtus* عند عرب الجاهلية^(٦٦) . ومجمل مذهب الرجل أن المروءة كانت تقابل الدين مقابلةً في ذلك العهد ؛ ثم قامت مقام مبدأ معنوي ، تدور عليه الأخلاق الكريمة ، من حيث إنها كانت تجمع بين الإزمات obligations أربعة : السخاء ، والوفاء ، وحفظ الجوار ، والأخذ بالثأر . وقد تلا رتلو جولدزيهير جماعة المستشرقين^(٦٧) ، ثم لفّ لفهم بعض الشرقيين^(٦٨) .

(٦٤) التتالي "مرآة المروءات" ص ٨ من ١٥ من ٢٠ من ٩ من ٢٢ من ١١ ، ١٢ من ٢٣ من ١٦ من ٢٩ من ١ ، ٢ . "المقدّم الفريد" ج ٢ من ٨٩ من ٣ . ابن المقفع "الأدب الكبير" ط أحمد زكي ، الأوسكندرية ١٩١٢ من ١٢ . ابن قتيبة "أدب الكاتب" مصر ١٣٤٩ من ١٢ . "كتاب الحاج ..." المنسوب إلى الجاحظ مصر ١٩١٤ من ٧٧ .

(٦٥) Mich. St. ج ١ من ١ - ٤٠ Murawwa and Din من ١٣ خاصة .

(٦٦) ط قبله : de Goeje, *Diwan poetar al-Masuri*: Leyde 1875 من LXVIII ، استناداً إلى نس غامض .

(٦٧) Lammens, *Le Bureau de l'islam*, Rome 1914, p. 190, 238, Massé, *Islam*, Paris 1930, p. 18. ج ١ من ٣٨٩ ، الطبعة الفرنسية .

(٦٨) ط أحمد أمين "جزيرة الإسلام" مصر ١٩٢٨ من ١١ . "الجميل في تاريخ الأدب العربي" مصر ١٩٢٩ من ٩ .

وفي هذا المذهب موضعان للنظر . أما الأول فرجعه إلى فن النقل في اللغة ، وأما الثاني فإلى المنهج :

أ — قد تبين لك مما قدمت أن الرومة لم تنزل منزلة الفضيلة على جهة المائلة إلا في العصور المتأخرة ، وأنها لم تكن قط أيام الجاهلية لتتضمن مدلولاً معنوياً يعلوها لأن تعبير كلمة رَمَزًا *mot symbole* تقع موقع مبدأ اجتماعي ؛ والكلمة الرمز أعني كلمة متى وقعت في مسامعك نشرت في خاطرك مجموعة من القيم المجردة .

ب — من العسف أن يُدِير الباحث ، من باب التخيل ، نطاقاً يلم فيه عناصر متباينة لا يجد بداً من تعديلها ، ولو شيئاً ، حتى لا ينقسم النطاق . ذلك أن الباحث إذا ارتحل رأياً ليعتمد عليه في سبيل الفحص عن جميع ما يقع تحت الحس ، فيبطل أن يظفر بما ينطوي في نواحي المبدول *le donné* وما يتعرج فيه ؛ ولا سيما إذا أراد الفحص عن أخلاقيات غريبة عن فهمه *entendement* خارجة عن زمانه . فلما ينبغي له إذن أن يتدرج من الواقعات إلى النظر . وذلك بأن يتدبر أحوال الجاهلية ، ويأني عرب ذلك العهد من أبوابها ، فيتأمل آثارها ، ويستفري أشعارها ؛ حتى إذا تم له ذلك ، علم أن عاداتها الخلقية تذهب إلى ما وراء الوفاء والسخاء ورعاية الجار والأخذ بالثأر ، وأنها تتدرج جميعاً — آخر الأمر — تحت معنى غير قائم في الوهم ، بل متمكن في الواقع ، وأن لفظة العرض إنما هي التي تؤدي ذلك المعنى . وعلى هذا النحو يكون الباحث قد سلك طريق العلم الوضعي العادل عن الآراء المرئجة والمعاني المتوهمة إلى اعتبار الواقعات ، بعد ركزه لها في الأرض التي أنبتتها ثم غدتها .

وإذا عدنا إلى مثل النطاق الذي ضرب فيا مضى من الكلام ،
عدنا صاحب البحث الموضوع من يجمع العناصر فيضتها بعضها إلى
بعض على وجوها ، من غير تبديل ولا تعديل ، ثم يشد عليها نطاقاً ،
ينحني تارة بالحنائها ، ويستقيم ثانية باستقامتها ، ويستدير أخرى حين تستدير .

وغاية القول أن المروءة لم تسد مسدّ الفضيلة أيام الجاهلية ، بل للعرض
أن يحل محلها في هذا الباب .

وأما قصة اندراج أخلاق عرب الجاهلية تحت معنى العرض — بما هو
مدرك عام — فاطلبها ، إذا شئت ، في موضع آخر ^(٦٩) .

(٦٩) "العرض عند عرب الجاهلية" *L'Honneur chez les Arabes avant l'Islam*

باريس ١٩٣٢ ص ٣٢ ي .

التفرد والتماسك عند العرب

(مراجعة أقوال المستشرقين)

تقول فئة من المستشرقين بأن العربي يفرط في التفرد^(١). وفي مقدمة تلك الفئة : لامنس^(٢) ثم الأستاذ ج. -- دوماميين^(٣) ، وعنه أخذت جانباً من العلم في السريون -- طال عمره ! وكأني بالقوم قد ذهبوا إلى ذلك من بعدما استلوا العربي من بيئته ، وسلخوه من محيطه ، وتوهموه امرءاً يعيش منطوياً على نفسه معتمداً عليها . ثم إنهم غلوا في مذهبهم ، إذ حاولوا أن يثبتوا طبيعة العرب معولين على بعض الآراء المرجحة . شاهد ذلك أن الأستاذ دوماميين يستخلص تفرد العربي من الصفات اللازمة لما يسميه : « السلوك الفائق » *le bandit supérieur* : ومن هذه الصفات الإقدام والخصم . وأما لامنس فإنه يرى العربي ميّالاً إلى الانزواء ، فهو عنده حيوان غير مستأنس ، ولا سبيل له

(١) التفرد : أن ينقبض الرجل عن جماعته فية كانت أو أمة . والتماسك أن يكون بين رجال الجماعة الواحدة التماس وتعاون . (ط بعد : البحث السابع .)

(٢) Lamours, *Le Bercant de l'Islam* رومة ١٩١١ من ١٨٧ ي .

(٣) Gaudelroy Demichyès, *Le Monde Musulman* باريس ١٩٢١ من ٥٧ .

ز مراجعته رأيه في " العرض عند عرب الجامعة " *Préface* من K (ج) ٢ .

— الخشونة في طبعه وفتور في إحساسه — إلى أن يؤثر غيره على نفسه في سبيل منفعة الجماعة .

على أني أحسبك لا تنقاد لمثل هذه الاستدلالات ، فلا تنزل إلا على حكم الوقائع المعهودة . كيف تطعن إلى نظر قريب الرمي يبرز به الإنسان مستقلاً بنفسه ، طوع سجيته دون غيرها ؟ إن الذي أميل إليه أن الإنسان جملة صلات اجتماعية *une somme de rapports sociaux* . فإن نحن حددنا العربي في الأرض التي يضرب فيها ، وحصرناه في المحيط الذي يلقه ، ثم استجلبنا الوقائع واستندنا إليها ، كشفنا السر عن الائتلاف الناهض بين أفراد الجماعة الواحدة ، معنوياً كان أو حسيّاً .

إن من شواهد التماسك المعنوي عند العرب أن الرجل كان يعتمد بشيرة *contribuant* ويعتز به ، أو تنسى قول مسكين الدارمي :

أخاك أخاك إن من لا أخ له كساع إلى الهيجا بغير سلاح^(١)

ثم كان يفخر بقبيلته بل يفأل في الفخر حتى إن الشرع أبطله :
« يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا... » ، كما ترى في مبحث آت (ص ١٠١) .

هذا وإن الائتلاف المعنوي كان يبلغ بالعرب أن يعاب الجمع أو يمتدحوا إذا أساء أحدهم أو عمل صالحاً^(٢) . ومن هنا ترى العشيرة

(١) "الأغانى" مصر ١٢٨٥ ج ١٨ ص ٧٠ . ط الشاهد ١٦٧ من "خزانة الأدب" للبندادى .

(٢) الجاحظ "البغلاء" مصر ١٣٢٣ ص ١٩٧ .

اختار أحدهم أن يمدح الشاعر قومه بدلاً منه : "حاشا أني غلام" مصر ١٣٤٦ ج ٢ ص ٢٥٨ (ج) .

تُغفر ممن يُلحق بها العار^(٦) ، وتُعقد من يرقى درجات المجد^(٧) .
وكان الشاعر إن هجا أحداً من الناس انبسط الهجاء — من ذى نفسه —
على جماعته . وشاهد ذلك أن الخطيئة سأل ابن عباس ابن عم الرسول
قال : « أرايت امرءاً أتاني فوعدني وغراني . . . أيسعني أن أهجوه ؟ »
قال ابن عباس : « . . . لا يصلح الهجاء لأنه لا بد لك من أن تهجو
غيره من عشيرته ، فتظلم من لا يظلمك ، وتشتم من لا يشتامك ، وتبغى
على من لم يبع عليك »^(٨) .

وإذا رجعنا إلى الشعراء أصبحنا الأدلة على التماسك العنوي عند العرب.
وإليك بعض الأمثلة : قال دريد بن الصمة :

وهل أنا إلا من غزيرة إن غوت غويت وإن ترشد غزيرة أرشد^(٩) ؟
ومثله قول هذبة بن خشرم :
وإني من قضاة من يكذها أكذبه وهي متى في أماكن^(١٠) .
وعليه قول المتلمس :

أمنتقلا من آل بهشة خلقتي ألا إني منهم وإن كنت أينا
ألا إني منهم وعرضي عرضهم كذى الأنف يحس أنه أن يكشأ^(١١) .

(٦) " الأغانى " ج ١٢ ص ٥١ .

(٧) ذ ج ١٦ ص ٩٩ ي (حكاية حاتم طي وبني لام) .

(٨) ذ ج ٢ ص ٥٨ .

(٩) أبو زيد القرشي " جهرة أشعار العرب " مصر ١٣٠٨ ص ١١٧ .

(١٠) " حاسة أبن تمام " مصر ١٣٢٢ ج ١ ص ١٣١ . ز قول حسان بن ثابت
" شرح ديوان حسان بن ثابت " مصر ١٩٢٩ ص ١٢٩ :

سأوتى الفتيرة ما حاولت إلى وأكذب إبعادها
وأحللت إني بقديم نابها وأضرب بالسيف من كاذها

(١١) " شعراء النصرانية " ط شيخو ، بيروت ١٨٩٠ ص ٣٨٧ ي .

ويؤخذ من هذا أن رجال القبيلة كانوا بنياناً واحداً ، وأبناء جلدة واحدة . والدليل أن الشاعر كان يتمنع أن يهجو جماعته . من ذلك قول هذبة بن خشرم في قومه :

سأهجو من هجأهم من سواهم وأعرض منهم عن هجائي^(١٢) .

ولعل شاعراً ثانياً يخطر له أن يشتم قومه كما صنع الشماخ^(١٣) وعميرة بن جميل والحرماني^(١٤) . وما يشهد أن هذا الأمر كان قبيحاً عندهم أن الشاعر ربما اتفق له أن يسلم على شتمه . قال كعب بن جميل :

ندمت على شتم العشيرة بعد ما مضى واستنبت للرواة مذاهبه^(١٥) .

ولولا أن هذا الأمر كان قبيحاً مردوداً ما أنكرت قريش أن يهجو بعضها بعضاً ، وما عاقبت الهامجي بقطع لسانه^(١٦) ، وما قال كعب بن مالك :

وأغضوا عن الفحشاء لا تعرضوا لها ولا تطلبوا حرب العشيرة بالثلب ولا تفضبوا أعراضهم في وجوههم ولا تلمسوها في المجالس والركب^(١٧) .

(١٢) "حاشية أبي تمام" مصر ١٣٢٢ ج ١ ص ١٣١ . "حاشية البهري" مصر ١٩٢٩ ص ٣٨٧ ض ٢ .

(١٣) "حاشية أبي تمام" مصر ١٣٤٦ ج ١ ص ٤٥٢ (ج) .

(١٤) ابن قتيبة "كتاب العرب" في "رسائل البلقاء" ط محمد كرد علي ، مصر ١٩١٣ ص ٢٨٠ .

(١٥) الألويسي "بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب" مصر ١٩٢٤ ج ٣ ص ١٤٨ .

(١٦) ابن سلام "طبقات الشعراء" ط مطبعة السعادة (ومن طبعة رديئة جداً) ص ٩١ .

(١٧) "حاشية البهري" ص ٣٨٧ ي .

وذلك لأن العرب كانت ترغب عن حمل الضغائن بين أبناء القبيلة وتكره الوقعة بالعشيرة . قال النمر بن تولب :

فدعوا الضغائن لا تكن من شأنكم
إت الضغائن للقرابة تقذع .
وعليه بيت معقل بن قيس :

وأعرض عما ساء قومي ثناؤه وأستطرح الأدنى وإن كان ظالماً^(١٨)
ذهاباً منهم إلى أن غضب العشيرة يجعل الرجل من أضيع الناس حفظاً .
ألا ترى إلى أبي زبيد الطائي كيف قال :

وإن امرأاً لا يتقى سحق قومه ولا يحفظ القرى لغير موق^(١٩) ؟
ومن ذلك طاعتهم للعشيرة^(٢٠) .

تلك شواهد على التماسك المعنوي عند عرب الجاهلية . وما يلحق بها أن أفراد الجماعة الواحدة ، عند العرب لعهدنا هذا ، يشد بعضهم إلى بعض تماسكاً محبتك^(٢١) ، وأن النساء عتدهم يعدلن عن تلبس أزواج غرباء عن جماعتهم ، لشدة تمسكهم بها^(٢٢) .

وإذا قلنا التماسك من جانب المعنى إلى جانب الحس ، عرفناه في أحوال شتى ، منها هذه :

(١٨) ١٨ ، ١٩ ذ من ٣٨٢ ي .

(٢٠) الجاحظ " منافق الترك " في " مجموعة رسائل " صدر ١٣٢٤ من ١٢ .

(٢١) (٢١) الجاحظ " منافق الترك " في " مجموعة رسائل " صدر ١٣٢٤ من ١٢ .

(٢٢) Burckhardt, Notes on the Bedouins..., London 1831 ج ١ من ٣٦١ .

(٢٢) Mosab من ٢٥ .

١ — لم يكن العربي ليفعل ما يبدوله . فقد قال أعرابي : « ما غبنت قط حتى يغين قومي . قيل : وكيف ذلك ؟ قال : لا أفعل شيئاً حتى أشاورهم »^(٢٣) .

ب — كان العربي إذا صرف همه عن جماعته وراح يجر المنافع إلى الغرباء ، ذمه قومه واستغفروه . قال أبو الدية الطائي :
وأنت امرؤ منا خلقت لغيرنا حياتك لا ترجى وموتك فالجع^(٢٤) .

ج — كان يبلغ سعى الرجل في سبيل عشيرته أن يبذل ابنته فيزوجها غريباً عزيز الجانب . ومما يروى في هذا الباب أن البراق خطب ابنة عمه إلى أبيها لكيز فوعده بها ، ولكن لكيزا كان يختلف إلى ملك من ملوك اليمن يسأله ويحول له العطاء ، واتفق أن وقعت ابنة لكيز في قلب الملك ، فطلبها الملك إلى لكيز ، فزفها الرجل إليه ، وفي مأموه أن يكون حسناً لقومه وفرجاً لشمالهم^(٢٥) .

وبعد فإنا نلخص التماسك الحسى عند العرب في الحرب والحوار والتجدة والتأثر :

أما الحرب فقد كان العربي « أخاها »^(٢٦) و « ابنها »^(٢٧) على قولهم . ومعنى ذلك أن الحرب كانت شأن العرب^(٢٨) . فلم يكن لهم سبيل عن

(٢٣) البيان والبيان * مصر ١٣١١ ج ٢ ص ٣١ .

(٢٤) حماسة البحتري * ص ١٧١ .

(٢٥) شعراء الصراية * ص ١٤١ .

(٢٦) حماسة البحتري * ص ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٧٠ .

(٢٧) « بنو الحرب يوماً إذا استلأموا » : « الفضليات » السططونية ١٣٠٨ ج ١ ص ٢٤٥ .

ز « جمهرة أشعار العرب » ص ١٢٢ .

(٢٨) ظ « العربي عند حرب الجاهلية » ص ١٠٢ ي ي .

التضافر والمؤازرة ، وهم قوم يابون الضم ولا يقيمون على خسف . والعرب في هذا تذكر بالجماعات التي يدرجها برجنسون Bergson ، الفيلسوف الفرنسي ، في أمم يجتمع أفرادها على الهجوم والدفاع^(٢٩) .

وأما الجوار فكان المستجير إذا انقطع إلى رجل واحد أعانه الحى^(٣٠) . وذلك لأن الجار تحميه القبيلة . قال عبد الله بن رواحة :
إذا ندعى لشار أو لجار فنحن الأكثرون بها عبيداً^(٣١) .

وإنك لتصيب هذا عند عرب شرق الأردن لهذا العهد^(٣٢) . وذلك ما يعلل الحروب التي شبت بين الحى الحجير وطراد المستجير^(٣٣) .

وأما النجدة فكانت العرب تصير فيها « يداً واحدة » . قال حربث ابن محض المازني :

ألم تر قومي إن دعاهم أخوهم

أجابوا وإن يغضب على التوم يغضبوا^(٣٤) ؟

(٢٩) *Les deux sources de la Morale et de la Religion*, Paris, 1933

الفصل الأول . ط قدس هذا الكتاب في " الهلال " أبريل ١٩٣٤ س ٦٩٦ ي ي .

ز بين تماسك العرب وتماسك الأمم القبطية من ناحية الحرب ، وانرجع هنا إلى

Maurice Halévy, *La Guerre dans les Sociétés primitives*, Paris 1931

س ٤٢ ، ٦٧ خاصة .

(٣٠) " حاسة أبي تمام " مصر ١٣٤٦ ج ٢ س ٢٦٧ (ح) .

(٣١) " جبهة أشعار العرب " س ١٢٢ .

(٣٢) بولس سلمان " حاسة أعوام في شرق الأردن " حريصة (لبنان) ١٩٢٩ س ١٣٠ .

ز أيضاً س ١٢٥ ؛ Burckhardt س ١٧٦ ي .

(٣٣) ابن الأثير " الكامل في التاريخ " لندن ١٨٦٢ ي ي ج ١ س ٤٢٠ ي ي .

" حاسة أبي تمام " مصر ١٣٦٤ ج ١ س ٤٧ (ح) .

(٣٤) " طبقات الشعراء " س ٧٤ .

ومما يذكر في هذا الموطن ، على سبيل التل : أن البراق لما انطلق إلى خطيبته ليستردّها تاصره عشراؤه .

هذا وإنك تلمس تماسك العرب الحسى في الثأر فوق ما لمسته فيما مضى من التبويضات . ومجمل القول هنا أن الثأر على ضربين : فإما أن يكون فعلاً *active* ، وهو الأخذ بالثأر ، أو انفعالياً *passif* ، فينحصر في تبعة الجماعة . أما الثأر الانفعالي : فرجال الحى مأخوذون بالجنابة التي يجزّئها أحدهم . ولولا أن العرب كانت تقتل الجماعة بالواحد ، فشور الفتنة ، ما جاء في الكتاب : « ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون »^(٣٦) ، وما زالت البدو على هذا حتى اليوم ، إلا إذا أعلن الجاني أنه خص نفسه ببيعة ما اقترفت يده^(٣٧) . وتعليل ذلك أن كل فرد مسؤول عن جماعته ، لأنه جزء منها ، من حيث إن ما لها له وما عليها عليه^(٣٨) . ومن هنا كان الموتور يتشفي بأي رجل ، على أن يكون من حي القاتل^(٣٩) ، ومن هنا كان أهل الحى يتعاونون على الذية^(٤٠) .

ومما يدفع إلى الخيرة أنت لامنس (الذي يستند التفريط في التفرد إلى العربي) يقول ما مقاده : « كل فرد عند العرب يرى من المفروض

(٣٥) سو ٢ ، آ ١٧٨ .

(٣٦) "حبة أعوام في ترقى الأردن" ص ١٣٨ .

(٣٧) *Muab* ص ١٤٥ ي . Burekhardt ص ٣١٦ .

(٣٨) "الأغاني" ج ١٦ ص ٢٧ . ذ ج ١٥ ص ١٥٣ : «وقلت بنو سلول رجلا من خنعم مكان القنول» .

(٣٩) ذ ج ٩ ص ٨٥ — ثم اذكر هنا «الخليع» ، و«الخليع الرجل يحى الجنابات يؤخذ بها أولياؤه فيبرؤن منه ومن جنابه ...» : «سان العرب» ج ٩ ص ٤٤٣ : ط "العرس عند عرب الجعيلة" ص ٢١١ (ج) ٣ .

عليه أن يخلص الجاني ، ويشترك في المدية ، كأنه يشترك في فكت أسير أو اصطناع معروف ، رعاية منه أن ستكون به حاجة إلى مثل هذا التماسك»^(١٠).

ذلك ما يتعلق بالتأثر الانفعالي . وأما التأثير الفعالي فالتماسك فيه لا يقل بروزاً . ومن شواهد ذلك أن الرجل إذا قُتل اضطر أهله إلى الأخذ بثأره . قال لبيد بن ربيعة يحض على المطالبة بدم عروة الرجال :

فأبلغ إن عرضت بني غيري وأحوال القتييل بني هلال
بأن الوافد الرجال أنهي مقياً عند تيسن ذى الظلال^(١١).

وينهض لذلك الأعمام والأخوال^(١٢) . وفي الحقيقة أن القبيلة كلها كثيراً ما كانت تتأثر بالقتيل^(١٣) ، فتغزو أو تنصب الحرب^(١٤) . وأما اليوم فيتفق أن يعلن بعض أفراد القبيلة أنهم ثائرون بالقتيل عنها^(١٥) .

(١٠) L'Andalous Occidentale ... بيروت ١٩٢٨ من ١٨٩ .

(١١) "الأغاني" ج ١٩ من ٧٥ . للتحرير على "القتل بالتأثر وترك قبول المدية" ، هذا "حماسة البحري" من ٣٠ ي . ر عند عرب هذا العهد *Mash* من ٢٠١ .
"خسة أعمام ... " من ١١٨ .

(١٢) يقول بروكش Procksch في كتاب وقفه على التأثر عند عرب الجاهلية *Ueber das Blutrecht bei den vorislamischen Arabern...*, Leipzig, 1899 من ٣٨٨ ي : "إن الأعمام يتأرون بالقتيل دون الأخوال" ، في "شعراء الصراية" من ٧٦٦ أن الآخذ بالتأثر يرفض أن يستعين بحال له ، مخافة أن يقال فيه إنه جاني . فلا أخوال إذن أن يستعان بهم على طلب الدم . وشعر لبيد قبل يؤيد هذا .

(١٣) "شعراء الصراية" من ٧٦٦ . "حماسة البحري" من ٣٢ من ٦ — ١٠ .
"الأغاني" ج ١٥ من ٥١ .

(١٤) ابن الأثير ج ١ من ٤٠٣ ، ٤١١ ي ٤٣٥ ، ٤٧٥ ، ٤٩٥ .

(١٥) "خسة أعمام ... " من ١١١ .

تلك هي الحجج المختلفة التي تثبت أن العرب كانوا قوما متأسكين .
ولعلك تجد معي أنها مستخرجة من الوقائع لا مرتجلة^(٤٦) .

على أن هنالك مبحثاً يكون من مبحث التماسك يمكن الأس من
البيان . ذلك أن تماسك العرب مصدره القرابة وما يترتب عليها من
العصبية . تلك العصبية التي أفاض ابن خلدون في الكلام عليها ما شاء
الله أن يفيض^(٤٧) . إلا أن هذا المبحث الآخر يخرجنا عما نحن فيه ،
فحسبني الإشارة إليه .

(٤٦) لصحة الاستشهاد بأدب الجاهلية وصدر الإسلام ، أرجع إلى " العرض عند عرب
الجاهلية " ص ٧ — ٢٠ .

(٤٧) " مقدمة " بيروت ١٩٠٠ م ١٢٨ ي ي .

البناء الاجتماعي عند عرب الجاهلية

لا شك أن القبيلة بنو أبي واحد^(١)، من حيث إنها تمثل مجتمع أسر أرومتها واحدة. إلا أن التجمعات تنفصلت في القلة والكثرة، وفي التعقد والبساطة. زد على ذلك أن العرب ضروباً من التجمهر غير « القبيلة »، فهناك: « القوم »^(٢) و « العشيرة »^(٣) و « العشر »^(٤) و « الرهط »^(٥) و « الحى »^(٦)، إلى جانب تعابير نحو قولهم: « بنو فلان »^(٧) و « آل فلان »^(٨).

- (١) "المخصص" مصر ١٣٢٠ ج ٣ ص ١٢٠. القافضدى، ط بعد (ج) ٩.
- (٢) مثلاً: "حماسة أبي تمام" مصر ١٣٤٦ ج ١ ص ٦٤ ي ج ٢ ص ٣٥٨.
- (٣) "حماسة البحري" مصر ١٩٢٩ ص ٣٠، ٣٨٧. الملاحظ "البيان والبيان"
- مصر ١٣١١ ج ١ ص ٧٣.
- (٤) "الأغاني" مصر ١٢٨٥ ج ١٥ ص ٥٣. ط دار الكتب مصر ١٩٢٧ ج ٢ ص ١٩٢. ابن رشيقي "المعدة" مصر ١٣٢٥ ج ٢ ص ١٣٩. ر قبل ص ٧٨.
- (٥) "البيان والبيان" ج ١ ص ٧٣. ابن خزيمة "عيون الأخبار" مصر ١٩٢٥ ج ١ ص ٢٩٢. ١١. "الأغاني" ج ٦ ص ٨٨. "حماسة البحري" ص ٣١، ٣٤.
- (٦) "عيون الأخبار" ج ٤ ص ٤. "الأغاني" ج ٨ ص ٨٢. ج ٩ ص ٦.
- (٧) "حماسة أبي تمام" ج ٢ ص ٢٣٩. انبرد "الكامل" القسطنطينية ١٢٨٦ ص ٦.
- (٨) "حماسة أبي تمام" ج ١ ص ٨٦، ٨٨. "حماسة البحري" ص ٣٢.
- (٩) "حماسة أبي تمام" ج ٢ ص ١٨٧، ١٩٣، ٢٢٥. "شرح ديوان جسان بن ثابت" مصر ١٩٢٩ ص ٦٢. "شعراء الصمرانية" بيروت ١٨٩٠ ص ١٤٩.
- (١٠) "حماسة أبي تمام" ج ١ ص ٦١. ط قبل ص ٧٧ ص ١٤.

والذي عندي أنه ينبغي للباحث أن يلتفت إلى هذه الأقسام ، فينزل
كلًا منها منزلتها من الفئة الشاملة . وعلى هذا الأسلوب يفحص عن
بناء العرب الاجتماعي *morphologie sociale* :

إن أنساب العرب — بحسب مذهب الماوردي^(٩) — تندرج على هذا
الترتيب : الشعب (وهو النسب الأبعد مثل عدنان وقحطان) ، ثم
القبيلة ، ثم العارة ، ثم البطن ، ثم الفخذ ، ثم القصيلة . وكل واحدة
من هذه الطبقات متشعبة من الطبقة التي تسبقها تواليًا . ويزيد الماوردي
أن الأنساب إذا تباعدت (يعني إذا تفادمت وتواجعت في الزمان فضخم
النسل) صارت القبائل شعوبًا والعراير قبائل . . . إلى آخره .

والوجه أن هذا الترتيب متعمل بعض الافتعال . ودليل ذلك أنك
رأيت في فاتحة هذا البحث أن النصوص تعرض لنا أقسامًا للقبيلة نحو
الرهط وغيره . وهذا الماوردي يغفلها ، على أن ثمة من يثبتها في الحديث
الموقوف على الجماعات عند العرب^(١٠) .

والذي لا معدل عنه ، أن يتدبر الباحث مسميات تلك الأقسام واحدًا
واحدًا ، إن أراد النظر في البناء الاجتماعي عند العرب . وهذا أمر

(٩) " الأحكام السلطانية " Bonn ١٨٥٣ من ٢٥٣ . ز " العقد الفريد " مصر ١٢٩٣
ج ٧ من ٥٥ . " لسان العرب " ج ٥ من ٣٧ . القلقشندي " نهاية الأرب في
معرفة أنساب العرب " بغداد ١٣٣٢ من ١٢ ي . وهناك ألوان من الترتيب :
ط النويري " نهاية الأرب في فنون الأدب " مصر ١٩٢٤ ج ٢ من ٢٩١ ي ي ؛
الألوسي " بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب " مصر ١٩٣٤ ج ٣ من ١٨٩ .
(١٠) ط الألوسي " ز الثعالي " فقه اللغة " بيروت ١٨٨٥ من ٢١٧ ي ؛
ابن السكيت " مختصر تهذيب الألفاظ " بيروت ١٨٩٧ من ٢٢ ي ي ؛ الهذلي
" الألفاظ السكانية " بيروت ١٩١٣ من ٢٧٤ .

من وراء الطاقة ، لأن هذه التسميات — على ما تبدو — يكاد بعضها لا يختلف عن بعض . فمضى على جانب عظيم من الإغلاق والاشتباه . مصداق ذلك أن الحى ربما استعمل للدلالة على الطبقات الست التى يسردها الموردي^(١١) . وأما قوهم : « بنو فلان » و « آل فلان » فكانا يقومان مقام طائفة من هذه الطبقات^(١٢) . وعلى فرض أنهما يدلان على فئة معينة ، فالله أعلم ما كنيها وما كتمها^(١٣) .

ويضاف إلى ذلك أن سائر التسميات التى تفيد أقسام القبيلة وتفرقتها ليست على شىء من الدقة ، بل الأقوال فيها متضاربة .^(١٤) ولحجة إلى باب « أسماء الجماعات » من كتاب « المختصر » لابن سيده (ج ٣ ص ١١٨ — ١٣١) وغيره من المؤلفات ، تؤيد ما أذهب إليه . وإليك التفصيل :

أما « العشيرة » فكانها تلتبس بالقبيلة^(١٥) ، وقيل : إنها

(١١) الألويسى ج ٣ ص ١٩٠ . ز « تاج العروس » ج ١٠ ص ١٠٥ س ٢ تحت « وفى نهاية الأرب ... » لافلندى ص ١٣ : « وربما عبر عن واحد من الطبقات الست بالحى ، إما على العموم مثل أن يقال : حى من العرب ، وإما على الخصوص مثل أن يقال : حى من بني فلان » .

(١٢) الألويسى ج ٣ ، ص ١٩٢ .

(١٣) إليك مثلاً « حاسة أرى تمام » ج ١ ص ٤٨ ، ٥٠ (ج) ، ٩٠ (ج) ، ج ٢ ص ٢٠٣ . ز « تاج العروس » ج ١٠ ص ١٠٥ س ٢ تحت : « ... كثروا أو قتلوا » .

(١٤) وكذلك التسميات التى تفيد أقسام الجماعة . مد يدو هذا الزمان : مذ Jausseu, Coutumes des Arabes au pays de Moudj . باريس ١٩٠٨ ص ١١٢ .

(١٥) « المصباح اللبى » مصر ١٩١٢ ص ٦٢٨ . « تاج العروس » ج ٣ ص ٤٠٢ .

« بنو العم »^(١٦) . وأما « العشر » فإن هو إلا الجماعة من الناس^(١٧) ،
وبعضهم يرى فيه أهل الرجل أي أسرته^(١٨) . وأما « القوم » فقيل :
الجماعة يكونون من الثلاثة فصاعداً^(١٩) ، وقيل : الجماعة من أب
واحد^(٢٠) ، وقيل : جماعة رجال لا نساء فيهم^(٢١) ، وقيل : الجماعة
من الرجال والنساء معاً^(٢٢) . وأما « الرهط » فقيل : كائنته أي
ما دون العشرة من الرجال^(٢٣) ، وربما جاوز ذلك بعض المجاوزة^(٢٤) ،
وقيل : العشيرة ، وقيل : القوم والقبيلة^(٢٥) .

هذا وهناك مسميات أخرى ، ولكنها محدودة . من ذلك قولهم :
« بنو الأعيان » و « بنو القلات » و « بنو الأخياف »^(٢٦) .

والخلاصة أن الناطق في الألفاظ الدالة على بناء العرب الاجتماعي كالناطق
في كتاب تداخلت سطوره . على أننا لا نشك أن تلك الألفاظ كانت

- (١٦) أبو زيد القرني * جبهة أشتار العرب * مصر ١٣٠٨ ص ٨٩ .
(١٧) الصباح الخير * من ٦٢٨ .
(١٨) تاج المروس * ج ٣ ص ٤٠٢ .
(١٩) الخخص * ج ٣ ص ١١٩ (عن أبي علي) .
(٢٠) الصباح الخير * من ٨٠٢ .
(٢١) الخخص * ج ٣ ص ١١٩ (عن أحمد بن يحيى) .
(٢٢) تاج المروس * ج ٩ ص ٢٤٤ المبدئي * أمثال * مصر ١٣٤٢ ج ١ ص ٢٢ .
(٢٣) الخخص * ج ٣ ص ١١٩ (عن أبي عبيد) .
(٢٤) ذ (عن أبي دريد) .
(٢٥) الصباح الخير * ٣٧١ . تاج المروس * ج ٥ ص ١٤٤ .
(٢٦) وقد إذا كانوا بنو أب واحد وأم واحدة فهم بنو الأعيان . فهذا كان أبوم واحداً
وأبائهم شتى فهم بنو القلات . فهذا كانت أمهم واحدة وأبائهم شتى فهم بنو الأخياف :
الشمالي * فقه اللغة * ص ٢١٨ . ز * لسان العرب * ج ١٧ ص ١٨١
ص ١٢ ي ي .

تفيد جماعات متميزة *distinctes* ، قليلاً أو كثيراً ، لأنه من الشطط أن يقال إنها كانت جميعاً مترادفة . والمتبادر إلى الذهن أن مفاداتها — مُحَقَّقَةٌ — غابت اليوم عنا ، إذ ليس بين أيدينا نصوص تحددها وتعرفها على نحوٍ ينفي عنها اللبس ، وينزهها عن الإشكال . فضلاً عن أننا أصبحنا لا نكاد نعيها عند بدو هذا العصر ، إذ هجرت ألسنتهم أو ماتت دون شفاهم ، أو تحولت من مدلول إلى مدلول^(٢٧) .

لا جرم أن الأمر مما يضيّق به الصدر . فها نحن أولاً ، لا نقدر أن نفحص عن بناء العرب الاجتماعي في زمن الجاهلية . وعسى أن نسدّد النظر في ذلك البناء من جهة اعتبار العدد . غير أن من وراء ذلك قليل رجاء . من يقول بأنه يستطيع أن يرسم لذلك البناء خِطَّةً تتدرج من الفئة ذات الجزء الفرد حتى تنتهي إلى الفئة الجامعة لأجزاء كثيرة .

فإن نحن سلكتنا طريقة المارودي ، أوحدونا حذو غيره ممن عرض لاسترجال بناء العرب الاجتماعي ، صرنا — في محتم المسلك — إلى تحليل غير وافي ولا مجدي . وسبب ذلك أن هذا التحليل إنما يكون من الخارج *du dehors* على تعبير الفلاسفة ، لأنه لا يعد إلى ترتيب أقسام القبيلة الشاملة بالنظر إلى خواصها ، نحو درجة قرابة أفرادها ومقدار مجانسهم *homogénéité*^(٢٨) ، بل بالنظر إلى تعاقبها في الزمان ، أعني تشعب

(٢٧) Muab من ١١١ ي (ح) .

(٢٨) ط لفظة «الجانحة» : ابن سينا «النجاة» مصر ١٣٣١ ص ٢٢٤ تحت ، من ٢٦٥ ص ١١ . ز ترجمة Carame, Avic. met. compendium رومة ١٩٢٦ ص ٦٥ ، ٤ .

بعضها من بعض ونسبة هذا القسم إلى ذلك من جهة اتساعه . وهذه الطريقة الأخيرة لا تغني شيئاً جليلاً ، وبيان ذلك أن الباحث إن علم أن « القبيلة » تضم « العائر » وأن « العارة » تضم « البطون » إلى آخر ما هنالك ، فحيث أن يعرف ما يميز بعضها من بعض من حيث البناء الاجتماعي .

فتراني حينئذ مضطراً إلى أن أدرج الفئات كلها — من غير تمييز — تحت لفظة « الجماعة » ، ذلك بأن الجماعة تستغرقها جميعاً لما هي عليه من العموم ، بل أصرح فأقول : لما هي عليه من الإبهام . فاستعمالها في هذا الموضع — إذن — خير من استعمال لفظة « القبيلة » للنصر الذي ألحقه بها مثل ترتيب الموردي ، كما مر بك .

على أني أعد كل واحدة من هذه الفئات — سواء أكانت كبيرة أم صغيرة ، شاملة أم مشمولة — طائفة من الناس تخوض صلة الرحم وشركة الاسم والنزل والتملك إلى « جماعة » تستمد عزتها من جاه رئيسها وقوة تقاليدها ، ثم من اتفاق شعور أعضائها ونسائر عواطفهم وعاداتهم ، ثم من تماسكهم التماسك والمنفعة جميعاً .

ولعل خطأً يظن أن العربي كان يلحق بما يزيد على فئة ، وربما قرَّب هذا الظن إلى رأيه ما شهدته المستشرق جوسين JASSSEN عند عرب مؤاب لهذا العيد ، فقد حكى أن ثلاثة أحياء من قبيلة واحدة كان بعضهم على بعض حرياً ، حتى إذا كثر العدو الغريب عليهم تحالفوا وثبتوا له صفاتاً (٢٩) .

باريس ١٩٢٣ من ٢٠ . ومن ذلك : « التجاني » ، ط ابن مسينا
 "نوع رسائل ... " مصر ١٩٠٨ من ٩٦ .
 (٢٩) *Moab* من ١١٤ .

والذي في الواقع أن العربي ما كان يلحق بفشتين أو ثلاث في آن
إلا بالقوة *en puissance* ؛ وأما بالفعل *en acte* فلم يلحق إلا بالقة
التي كان يصل لها . فكان الحي ينزل الحي الجبور ، ثم يتحالفان لقرابة
بينهما ، فيشنان الغارة على الجماعة الغربية عنهما^(٣٠) .

ويتصل بهذا أن العربي إذا غر بأبي قبيلته لم يرجع لساعته إلى
نخذه ، مثلاً ، بل إلى القبيلة ؛ وإذا اتفق له أن يفخر بأبي نخذه أفلت
لوقته من سلطان قبيلته . ومن هنا يتبين أن كل فئة كانت تحيا في
ذاتها وبذاتها *en soi et par soi* ، مع الصلات التي كانت بينها
وبين الفئات التي يتشعب منها ، أو بينها وبين الفئة التي تشعب عن منها .

وكأنني بك تعترض على بأن عناصر العرض في الجاهلية^(٣١) ربما
اختلفت باختلاف الجماعات . فالواقعات تدفع هذا الاعتراض دفعا ، إلا في
يتعلق بالأسرة . ولتلك أجعل بين « الأسرة » أي « الأهل » و « الجماعة »
أي أفراد القبيلة أو الحي إلى آخر ما هنالك ، حداً فاصلاً :

إن الأسرة البدوية لهذا العيد تضم الأقراب الأدين وذرايرهم ، أي جميع
الذين يقيمون بيت واحد ويخضعون لسيد واحد^(٣٢) . على أني أعترف
بأنني أجهل هل كانت الأسرة تعدو حدود البيت في زمن الجاهلية .
وقصة هذا أن الأسرة — في ذلك العهد — كان يعبر عنها بلفظة : « الأهل »^(٣٣) .

(٣٠) وتلخص حياة هذه العادة في المثل الشائع على ألسنة العامة : « أنا وأخويا على ابن عمي ،
وأنا وابن عمي على الغريب » .

(٣١) والتي وصفها في « العرض عند عرب الجاهلية » .

(٣٢) *Maile* من ١٢ د .

(٣٣) البخاري « صحيح » مصر ١٣٤٣ ج ٣ من ٢٥ . « العقد الفريد » ج ١
من ٥٠ . « شرح ديوان حسان » ... من ١٢٩ . ز « الأغانى » ج ٢
من ١٩١ ج ١٦ من ٢٣ ؛ البديعي « أمثال » ج ٢ من ١٧٨ ، ٢٩٩ .

فما يغلب على الظن . وهذه اللفظة تكاد تبدو أقل اشتباهاً من الألفاظ التي سقناها عند الكلام على أقسام القبيلة^(٣٤) .

والنتيجة أن كلاً من الأسرة والجماعة يعصى على الحد الدقيق . إلا أنه من البعيد أن تلتبس الأسرة بالجماعة . فكل واحدة منهما تتميز من صاحبتهما . ودليل ذلك أنك إن اطلعت على النصوص الجاهلية ، فرقت — من طريق السياق — في غير كلفة عليك — بين الأسرة والجماعة ، كما انتقلت من خبر إلى خبر ، على جهلك مقدار اتساع الجماعة ، وكيفية بناء الأسرة^(٣٥) .

ثم ر " المصباح المير " ص ١٧ . وفي " الخصص " ج ٣ ص ١٢٨ : " أهل الرجل أنص الناس به " (عن أبي زيد) . ثم ظ الأحاديث النبوية المروية في المسانيد المشهورة ، وتجد موافقاً في : ١ . ي - فستك Wenstock " المعجم القوي لألفاظ الحديث النبوي " ليدن ١٩٣٤ ي ١ ، الفصل الثالث ص ٢٣٦ ي ١ (أهل بيت الرجل) .

(٣٤) مثلاً : " تاج العروس " ج ٧ ص ٢١٧ . " القاموس المحيط " ، مصر ١٢٨٩ ج ٣ ص ٣٨١ : " أهل الرجل عشيرته وذوو قرابه " . وفي " أساس البلاغة " مصر ١٩٢٢ ج ١ ص ٢٦ : " تأهل الرجل : تزوج ؛ ورجل أهل " . وفي الحديث : " أنه أعطى العرب حظاً وأعطي أهل حظين " . وفي " المصباح المير " ص ٤٧ : " ويطلق أهل على الزوجة ، والأهل أهل البيت ، والأسل به القرابة وقد أطلق على الاتباع " . ومن ذلك قولهم : " مرحباً وأهلاً ، أي صادقت أهلاً لا غريباً " (" القاموس المحيط " ص ٢٠) . ثم اتسع معنى لفظة أهل ، فبين : " أهل البلد من استوطنته " وأهل العلم من اتصف به ... والأهلي من الدواب ما ألق الكسول " (" المصباح المير " ص ٢٠) . (٣٥) لم نستعمل لفظة " الأسرة " جزافاً ، فإسماعيلي في " لغة القصة " ، بيروت ١٨٨٥ ص ٢١٨ ، أثبتتها في خانة " تدرج القبيلة من الكثرة إلى القلة " . ز ما جاء في " الخصص " ج ٣ ، ص ١٣٠ ؛ " تاج العروس " ج ٣ ص ١٣ ؛ " نهاية الأرب " ... ج ٢ ص ٣٠٠ . وفي " لسان العرب " ج ٥ ص ٧٧ ما سرفه : " أسرة الرجل عشيرته ورهطه الأدنون " ثم " عشيرة الرجل وأهل بيته " . فاستندنا إلى هذا الحرف (وإن لم يترجم الاشكال) وما أهد بعض الألفاظ العربية القديمة عن الوضع التام المتأخرين ! ، تفيد الأسرة ما نسبته عامة مصر : " العائلة " (ونستعمل الآن في مصر بهذا المعنى) .

تاريخ لفظة الشرف

(محاولة) *

سأل أحدنا من العامة : ما الشرف ؟ يأخذ في حديث طويل لا مدخل له ولا مخرج . وسبب ذلك أن الشرف مُدْرَك مُلتَبِس *concept confus* ، والمدرّكات الملتبسة يتعذر تحديدها على ذهن قائل التهذيب . ثم سأل أحدنا من المتأديين : أي شيء يفيد الشرف ؟ تدفعه إلى الحيرة . ذلك أنه يعلم أن لفظة الشرف مفادات متجاوزة تارة ، متباينة أخرى ^(١) . وإذا قلت الشرف عنيت تلك الكلمة التي نعرفها كلنا ، ونستعملها استعمالاً مطّرداً بما توأضعتنا عليه من المعنى .

فالشرف لفظة مشتبهة . وأقطع دليلي على هذا أن المتقدمين من أهل اللغة عدّوها كذلك . فهذا ابن فارس من أئمة اللغة الرابعة يقول :

* أني هذا البحث مختصراً ، على سبيل الإيمداد ، في مدرسة العلوم الشرفية للجامعة الأمريكية في القاهرة في الأول من مارس سنة ١٩٣٩ .

(١) لفظة الشرف ومشتقاتها مدلولات لا تلتفت إليها هنا ، وتجدها في المعجمات . وهي متروكة أو فلية الاستعمال . منها : أذن كبرياء : ملوية ، الإشراف : الشفقة ، الشارف من الأول : السن ، الشرف : الطين الأحمر والوجه ، الخ .
مثلاً " لسان العرب " ج ١١ ص ٢٥ ي .

« ومن المشتبه الذي لا يقال فيه اليوم إلا بالتقريب والاحتمال ، وما هو
بغريب اللفظ ، لكن الوقوف على كنهه معاصر ، قولنا ... الشريف ...
والأشراف ... »^(٢) .

وهذا الاشتباه ما جعل الكلام المذنون في المعجمات ، تحت لفظة
الشرف ، يحى . ويذهب^(٣) . وأما كتب الأدب فالشرف فيها أكثر
قلنا ، لأن أصحابها لا يلتزمون النصوص الأولى التزام أصحاب المعجمات فما .
مثال ذلك ما جاء في " كتاب العرب " لابن قتيبة و " زهر
الآداب " للخصري . فعند ابن قتيبة يرجع الشرف الى أربعة :
السب ، وخلق الإنسان ، وفعال الآباء ، والكرم (ضد التؤم) .
وأما الخصري فالشرف على قمه يدور على التسبب الرفيع ، والحسب العالي ،
والانتساب إلى النبي أو إلى مضر ، والشجاعة والعلم والأدب وحسن الأخلاق .

وفي رأي أن قول الخصري ، ولا سيما قول ابن قتيبة ، على جانب
من التردد بل التضارب . وعلّة ذلك أنها أرادت أن يجمعاً أشتات
المدلولات المعروفة في عهدها للفظ الشرف ، من دون أن يميز المدلول
المتيم من المدلول الطارئ . فتحكم شيئاً في الحدّ والشرح والتفصيل ،

(٢) " أصح " مصر ١٩١٠ من ٣٦ ي . أنف إلى هذا أن الشرف من
الأضداد : « وقالوا الشرف : الارتفاع ، والشرف : الانحدار » (إلا أن الارتفاع
هو المشهور) ، ط ابن قطرب " كتاب الأضداد " ط H. Kieker مجة
Isa'at المجلد ٥ من ٢٥٢ رقم ٥١ .

(٣) ط مثلاً " لسان العرب " ج ١١ من ٧١ ي .

(٤) في " رسائل البلقاء " ط محمد كرد علي ، مصر ١٩١٣ من ٢٧٩ ي .

(٥) ط ثانياً لوكي مبارك ، مصر ج ١ من ١٣٥ .

بدلاً من أن يعوّلاً على النصوص التي وردت فيها لفظة الشرف ، عهداً
بعد عهد ، فيخرجنا منها بقول بفارب الواقع على تحويلة .

هذا ولو جاءت لفظة الشرف في القرآن لتيسر البحث ، لأن القرآن
الحجة العليا في مثل هذه المشكلات .

وبعد ، فدعني أحاول تعقب مدلولات الشرف ، وردّها إلى أصل ثابت ،
أو إلى فرع من فروعها السابقة ، بسلك طريق الاحتمال والإمكان ،
مستنداً إلى النصوص الجليّة :

المدلول الحقيقي لفظة الشرف ومشتقاتها^(٦) : العلو والارتفاع . وهو
الأصل ، لأنه جسي : والخسبيات قبل المعنويات ، كما أن الحقيقة
قبل المجاز . وشاهد ذلك المدلول الحسي المثلّث العربي القديم :
« على الشرف الأقصى فابعد » (والشرف الأقصى : المكان العالي^(٧)) .
وعلى هذا — فيما يسبق إلى الظن — قيل لأعلى جبل ببلاد العرب :

(٦) في رأى الأب أنستاس ماري الكرملي " نشوء اللغة العربية وتطورها واكتسابها " ،
مصر ١٩٣٨ من ١٣٠ ، أن كلمة الشرف » (ويقال فيها الشرف) ... تنظر
إلى اللاتينية super أى فوق أو إلى supernus أى عال أو فام في العلو أو
مشرف ... » .

وفي هذا البحث لا نعرض لاشتقاق لفظة الشرف ، فإنما نكتفي على تحويل معانيها .

(٧) المبدائي " أنشال " ، مصر ١٣٤٢ ج ١ ص ٢٩ (قال هذا لئلا أكتم بن صبيح
وهو من حكماء العرب في الجاهلية ، ط الألويس " بلوغ الأرب في معرفة
أحوال العرب " مصر ١٣١٤ ج ١ ص ١٥١) .

شريف^(٨) . وفي الشعر الجاهلي ما يعزز هذا^(٩) . ثم في الحديث الصحيح ما حرفة : « ... ولا يتنهب (الرجل) نهباً ذات شرف ، يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين يتنهبها ، وهو مؤمن »^(١٠) .

ثم انتقلت كلمة الشرف من حيز الحقيقة إلى أفق المجاز ، جرياً على سنة تدرج الألفاظ من الحسن إلى المعنى ، فأفادت رفعة المنزلة . قال الشاعر الجاهلي :

لحى الله قوماً أنكحوا بنت خيرهم
بني صارم يبعونها شرف المجد^(١١) .
وقال حسان :

دع ذا وعد القريض في نفر
يرجون مدحى ومدحى الشرف^(١٢) .
وعليه ما جاء في الحديث : « اللهم لك الشرف على كل شرف »^(١٣) .

- (٨) القموزي أبدي " القاموس " مصر ١٢٨٩ ج ٢ ص ١٨١ .
(٩) ولقد نظرت ودون قولي منظر من قيسرون فيلقع قسلاً
فيقال أيلة في شمس دونا فأولات ذي علبانة فذهاب
غريب أي قد بدا لي طسودهم كقولهم على أمروهم حباب
" أشعار الخليلين " ط Wellhausen برلين ١٨٨٤ ص ٦٠ . ز أبو زيد القرني
" بعمرة أشعار العرب " مصر ١٢٠٨ ص ١٣٠ ش ١٠ .
(١٠) البخاري " صحيح " مصر ١٣٤٢ ج ٣ ص ١٩٨ . مسلم " صحيح " مصر ١٣٢٤ ج ١ ص ٩٤ ي . (ورد الحديث أيضاً من غير ذات شرف ، ط مسلم ص ٨) .
ثم في المعجمات ، مثلاً " لسان العرب " ج ١١ ص ٧١ ي : « علا شرفاً من الأرض ... وهو المكان الشرف ، ومشارف الأرض : معالمها ، واستشرف الشيء : رافع رأسه ينظر إليه ، وأشرف الشيء : على الشيء : علاه ، والعرفة : أعلى الشيء » .
(١١) " أشعار الخليلين " ص ٩ .
(١٢) " شرح ديوان حسان بن ثابت " مصر ١٩٢٩ ص ٢٨٤ .
(١٣) ابن حنبل " مسند " مصر ١٣١٣ ج ٣ ص ١٢٧ ، ٢٣٩ . ومنه في المعجمات ، مثلاً " أساس البلاغة " مصر ١٩٢٢ ج ١ ص ٤٨٧ ، ٤٨٢ : « فلان قد أتم ذروة الشرف ، وفلان شرف وهو علو المنزلة » .

ثم صار الشرف الرفعة في القوم خاصة ، وذلك من باب إطلاق العام على الخاص par voie de restriction . وإليه يرجع فصل من كتاب " الألفاظ الكتابية " للهمداني ، عنوانه " باب في الشرف والتسامي " (١٤) .

وعلى هذا الوجه دلّ الشرف على السيادة والسؤدد في كتب العرب (١٥) ، ودلّت الأشراف على السادة (١٦) . ويرتدّ هذا إلى مثل قول رؤساء قریش للرسول : « ... وإن كنت إنما تطلب الشرف فينا سوّ ذلك علينا » (١٧) .

ومن المحقق أن في الجاهلية طبقة الأشراف ، كما جاء في الكتب التي يجرى فيها الكلام على عرب ذلك العهد وما يتصل به من صدر الإسلام . ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في " أشعار الهذليين " (١٨) : « وخرج من فهم ثلاثمائة أو أربعمائة أو زيادة : الأشراف فالأشراف » . وعلى هذا النحو كان تفرّش أشرافها (١٩) ، وكان لسانه

(١٤) بيروت ١٩١٣ ص ٣٢ . وقد جاء تحت هذا الفصل : « ... فلان في بيت شرف قبيلة كذا ، وهو في ذراها وفرونها ، وهو زعيم قومه ، وفق قومه ، وإفهامهم وقوامهم ؛ وقد سادهم وفضلهم ... » .

(١٥) ابن قتيبة " عيون الأخبار " مصر ١٩٣٥ ي ج ١ ص ٢٢٨ ، ٢٢٢ ، ٢٢٩ . الأبيشي " المستطرف " ... مصر ١٣٤٨ ج ١ ص ١٨٣ . ط قول علفة بن علاثة في وفود العرب على كسرى : « ... يا شرف والسودد موصوف » : ابن قتيبة " العقد الفريد " مصر ١٢٩٣ ج ١ ص ١٢٩ . ز الأبهداوي " خزنة الأدب " مصر ١٣٤٨ ج ٢ ص ٥٧ .

(١٦) " عيون الأخبار " ج ١ ص ٢٣٢ . نجد ماضي اللفظين مقرونين في : الواحدي " أسباب النزول " مصر ١٣٦٥ ص ١٦٣ ، ٢٢١ ، ٢٤١ ؛ ابن هشام " السيرة " مصر ١٣٤٦ ج ١ ص ٢٦٥ ، ٢٧٢ . ز " لسان العرب " ج ١٥ ص ٢٧٤ : « المضحك : السيد المضحك الشريف » .

(١٧) " أسباب النزول " ص ٢٢١ .

(١٨) ص ٥٣ .

(١٩) " العقد الفريد " ج ٢ ص ٥٤ . ز الألويسي ج ١ ص ٣٤٩ .

العرب أشرفها^(٢٠) ، ولليهود والنصارى أشرفهم^(٢١) . (ويقابل الشريف
الوضيع^(٢٢)) .

وأكبر الظن أن الرجل لم يكن شريفاً (أى رفيعاً في قومه) إلا
إذا كرم محتده وصفاً بنسبه^(٢٣) . وهذا من قبيل تقييد المعنى . وشاهد
ذلك أن حسان بن ثابت لما أراد أن يفتخر بنفسه قال :

ألم تروا أولاد عمرو بن عامر لما شرف يعلو على كل مرتقى
رما في قرار الأرض ثم سمت له فروع تسامى كل نجم مخلوق
ملوك وأبناء الملوك كأننا سوارى نجوم طالعات بمشرق

إلى آخر ما هنالك من تعداد مآثر الآباء^(٢٤) . وعلى ذلك قول
عمرو بن أمية القيس الأنصاري :

(٢٠) " أسباب النزول " ص ١٦٢ . ز أيضاً ١٦٣ ، ٢٧٥ ؛ البخاري " صحيح " ج ٤ ص ٢٥ ؛ ابن هشام " السيرة " ج ١ ص ٢٩٢ ؛ " أشعار الهذليين " ص ٣٠ : ابن دريد " اشتقاق " Goettingen ١٨٥٤ ص ٢٩٥ ؛ البدائي ج ٢ ص ٦٧ . (وكان يزيد جواداً شريفاً في الجاهلية والإسلام) :
" جبهة أشعار العرب " ص ٣٠ .

(٢١) " أسباب النزول " ص ٦٢ ، ١٤٥ ، ١٤٧ .

(٢٢) " عيون الأخبار " ج ١ ص ٢٦٥ ، ٢٧٥ . ز الجاحظ " المحاسن والأعذار " مصر ١٩٢٣ ص ١٠٠ ؛ ابن المقفع " الأدب الصغير " في " رسائل البلقاء " مصر ١٩١٣ ص ٣٥ .

(ويقابل الشريف الضعيف : الجاحظ " الحيوان " ط صيد السلام هارون مصر ١٩٣٨ ج ١ ص ٣٥٩ . ومن ذلك : كان يقال : التواضع والشرف) :
" العقد الفريد " ج ١ ص ٢٤٥ ؛ " عيون الأخبار " ج ١ ص ٢٦٦ .

(٢٣) قيل لأخف : يا بني سدت قومك وما أنت بأشرفهم بيتاً ولا ... ؟ ؟ :
" المتعارف " ج ١ ص ١٨٣ .

(٢٤) " شرح ديوان حسان ... " ص ٢٨٦ .

إني لأتمنى إذا انتميت إلى غُرِّ كرام وقومنا شرف^(٢٥) .
ويضاف إلى هذا أن العبد كان مجهول الآباء : قاعد النسب^(٢٦) ،
فلا شرف له . قال حسان :

ومن نعيم عبيد بحاتمكم ليست له دعوة ولا شرف^(٢٧) .
وقال درهم بن يزيد الأوسى :

لا نرفع العبد فوق سنته ما دام منا يبطنها شرف^(٢٨) .
فالشرف أفاد كرم النسب . ولهذا كان يقال : « في بني فلان الشرف
والبيت . وبيت العرب : شرفها (ج : بيوت وبيوتات) . والبيت من
بيوتات العرب : الذي يضم شرف القبيلة ... وبيت تميم في بني حنظلة
أى شرفها ... وفلان بيت قومه أى شريفهم ... »^(٢٩) . ومن ذلك
قولهم : « وإن حسبك كنعيد — أى يفتدك عن بلوغ الشرف »^(٣٠) .
وإلى مثل هذه القولة نظر ابن هشام إذ كتب : « محمد أشرف العرب
نسباً وحسباً ... »^(٣١) .

- (٢٥) " جوهرة أشعار العرب " ص ١٢٨ .
(٢٦) ط " العرض عند عرب الجاهلية " بلوتس ١٩٣٢ ص ١٠٦ ي .
(٢٧) " شرح ديوان ... " ص ٢٨٥ (والدعوة : الترابية ... ط " المصباح الشيرازي " مصر ١٩١٢ ص ٢٩٨ ي) .
(٢٨) " شرح ديوان حسان ... " ص ٢٢٩ . ز " جوهرة أشعار العرب " ص ١٢٢ س ٢ تحت .
(٢٩) " لسان العرب " ج ٢ ص ٣١٧ . ز " الألفاظ الكناية " ص ١٠٠ : ابن خلدون " مقدمة " بيروت ١٩٠٠ ص ١٣٤ ؛ " العرض عند عرب الجاهلية " ص ١٠٠ — وفي : ابن سلام " نيفات الشعراء " مصر مطبعة السعادة ص ١٩ : « وفيه بيت تميم وشرفها » .
(٣٠) " أساس البلاغة " ج ٢ ص ٢٦٦ . (قال ابن سيده " المختصر " ج ٢ ص ١٥٢ ي : « التزيع : الشريف من النجوم الذى نزع إلى عرق » .)
(٣١) " الديرة " ج ١ ص ٦٩ .

ولعلك نستخلص مما تقدم أن الشرف بهذا المعنى يرادف الحسب .
وإلى هذا ذهب نفر من الأئمة^(٣٢) . والذي يبدو لي أن الحسب يحتمل
معنى الشرف ، وكأنه تابع له . ولكنه يتميز منه ، إذ يلحق بفعال الأجداد .
على حين أن الشرف موقوف على صفاء النسب . فكان الشرف بهذا المعنى
حال واقعة état statique والحسب حال ناشطة état dynamique^(٣٣) .

وبصفاء النسب كانت العرب تُمدح ، وبالأنساب التي فيها دخل ولؤم
كانت تُذم^(٣٤) . ثم كانت في الشرف تتنازع ، وذلك لون من ألوان
مفاخراتهم ومنافراتهم ، ويقال له : المفاخرة^(٣٥) .

تلك المدلولات التي تنتهي إلينا مما يعزى إلى زمن الجاهلية ومنبثق
الإسلام . فلتتبعها بعض التعقب في ما جاء بعد ذلك من الزمن .
أما المدلول الأول ، وهو الحسب ، فانظروا أنه تنحى للمدلول الثاني ،
وهو المعنوي ، فلم يرد إلا بقدر^(٣٦) . والحق أن هذا المدلول الأول لا وزن له
في هذا المبحث ، لأن الذي يعيننا من لفظة الشرف إنما هو معناها المجازي .

(٣٢) مثلاً : أبو علي الفاي " الأمل " مصر ١٣٢٤ ج ٢ ص ١١٩ .

(٣٣) اسأل تبين هذا في " العرض عند عرب الجاهلية " ص ٨٧ .

(٣٤) ذ ، ص ٨٦ (" الشرف " عنصر من عناصر العرض) .

(٣٥) " لسان العرب " ج ١١ ص ٧١ . ذ قول الجاحظ " ملقب الترك " في

" مجموعة رسائل " مصر ١٣٢٤ ص ١٢ : ٥ ونحن (أي العرب) أصحاب

المفاخر والتنازع والتنازع في الشرف " . ثم ط بشر فارس " نكلمة دائرة

المعارف الإسلامية " لندن ١٩٣٧ مادة " مفاخرة " .

(٣٦) أمثال على وروده : " جبهة أشعار العرب " ص ١٦٣ ، ١٦٥ : ٥ قصر مصر

وبيت مشرك " (" لفرزوق ") البعري " ديوان " بيروت ١٩١١ ص ١٧٨

ش ٣ تحت ، ١٩٤ ش ٦ .

وبدلاً من أن تبدأ بدلول الرقعة ، وهو المعنى المجازي الأول ، لتسهيل التعقب بالدلول الثالث ، وهو صفاء النسب : وذلك لأنه الدلول الغالب في مختتم الجاهلية :

سلك الإسلام الدين في كل شيء ، ونفس التقوى في وجه الحقيقة الجاهلية^(٣٧) . فأصبح أكرم الناس عند الله أتقاهم^(٣٨) لا أعلام نسباً ولا أكرمهم محتداً^(٣٩) : لأن الناس قد خلقهم الله من ذكر وأنثى وجعلهم شعوباً وقبائل ليتعارفوا^(٤٠) ، لا ليتفاخروا بالنسب . فلتذهب إذن « نخوة الجاهلية وغرورها بالآباء »^(٤١) . وعلى هذا ما أثر عن الرسول في الحديث الصحيح^(٤٢) : « ما ذنبان عاديان أحاباً فرقة غم بأفسد فيهما ،

(٣٧) ط " القرآن " سو ٤٨ آ ٢٦ .

(٣٨) ذ ، سو ٤٩ آ ١٣ . ز البخاري " صحيح " ج ٢ ص ١٤٥ ، ج ٢ ص ١٤٤ ؛ في : البغوي " تاريخ " بدين ١٨٨٣ ج ٢ ص ١٠٠ : « السعادة في اثنين : الطاعة والتقوى » .

(٣٩) ط شرح الآية السابقة ، مثلاً : البيضاوي " تفسير " مصر ١٩٢٦ ص ٢٦٨ . ز البخاري ج ٢ ص ١٤٥ : « قبل : يا رسول الله من أكرم الناس قال : أتقاهم ، فقالوا : ليس عن هذا نسألك ... قال : من معاون العرب تأكون ؟ خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام ، إذا فقهوا » . ثم تأمل قول واصل بن عطاء : « نسي الإسلام ... » : « المستطرف » ج ٢ ص ١٦ . (٤٠) " القرآن " من ط .

(٤١) البيضاوي من ك . ز حجة الوداع : « البيان والتبيين » مصر ١٣١١ ج ٢ ص ١٦ ؛ « المقد للفريد » ج ٢ ص ٨٥ . ومن ذلك لئلا السائر : « الناس كألسان الشط » (« أي متساوون في النسب ... ») : « المبدئي » أمثال ج ٢ ص ٢٦٧ .

(٤٢) الترمذي " سنن " كتاب الزهد باب ٤٣ . البخاري " سنن " كتاب الرقاق باب ٢١ .

من حب المرء المال والشرف ، لديه » (يريد أن المرء « يتشرف »
للمباراة والمفاخرة والمساماة » (٤٣) .

والمتحصل من هذا أن الإسلام — من حيث مبدأه — لم يكن ليرضى
بذلك الشرف الجاهلي ، ولم يكن ليقيم له وزناً (٤٤) . ولذلك ترى بعض
المسلمين يأبون أن يسموا بأن الشرف مرجعه إلى صفاء النسب . فهذا
البيهقي يقول : « قال بعض الحكماء : لا يكون الشرف بالحب والنسب ؛
ألا ترى أن أخوين لأب وأم يكون أحدهما أشرف من الآخر ؟ ولو كان
ذلك من قبل النسب لما كان لأحد منهما على الآخر فضل ، لأن نسبهما
واحد ؛ ولكن ذلك من قبل الأفعال ، لأن الشرف إنما هو فيه
لا في النسب » (٤٥) .

هذا ما جاء به الإسلام . غير أن العرب لم تتحول إلا قليلاً عن
نغرها بالأنساب (٤٦) ، والسبب أن عادات الأمم إذا رسخت كان نسخها

(٤٣) "لسان العرب" ج ١١ ص ٧١ من ١٠ ي .

(٤٤) وفق الحديث شامد هذا : « ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه » أبو داود "سنن"
"كتاب الصلاة" باب ١ . الرمزي "صحيح" "كتاب القرآن" باب ١٠ . ابن ماجه
"سنن" "القدمة" باب ١٧ . الدارمي "مسند" "الخدمة" باب ٣٢ .
ز "العقد الفريد" ج ١ ص ٢٢٠ .

(٤٥) "الحامد والمساوي" ط. Hussen ١٩٠٠ ي ، ص ١٠٦ . ز ابن قتيبة
"كتاب العرب" ص ٢٧٩ ؛ "الأمل" ج ٢ ص ٨٣ تحت ، ٨٤ فوق ؛
السنن "ديوك" بيروت ١٣٠٥ ص ٥٢٢ ش ٣ - ٦ .

(٤٦) افتخر النبي نفسه بنسبه قال : « أنا ابن عبد المطلب » البخاري ج ٢ ص ١٦٦ .
وقال : « ثم جعلهم يوتون بجليل خيرهم بيتاً وخيرهم نفساً » الرمزي "صحيح"
"كتاب النساب" باب ١ . ز "العقد الفريد" ج ٢ ص ٤٦ تحت ؛ ابن هشام
"السيرة" ج ١ ص ٦٩ ي (ج) .

مطلباً صعباً : ألا تذكر قصة مصالحة العرب للأعاجم وتساميها على الشعبية ، محتجةً بأنسابها ، ثم قصة بقائها على المنافرة والمفاخرة^(٤٧) ، ومدح بعضها بعضاً بالآثر ، ودم بعضها بعضاً بالخازي^(٤٨) ؟ أضف إلى هذا أن طبقة الأشراف لم تزل قائمة^(٤٩) وأن الحديث عن الأشراف ظل سائراً^(٥٠) .

(٤٧) ط " العرض عند عرب الجاهلية " ص ١٨٧ ؛ ن " تكملة دائرة المعارف الإسلامية " ليدن ١٩٣٧ ، مادة " مفاخرة " .

(٤٨) من ذلك بقاء هذا اللون من الله : لا أبلك ، لا أم لك ، ط مثلاً : " الأغاني " ج ٧ ص ٤٤ ، ٤٦ ، ٦٤ ، ٧٠ ج ١٩ ص ٢٢ ، ٢٨ . " عيون الأخبار " ج ٢ ص ٩٠ . " المقدم الفريد " ج ١ ص ٢٦٧ . وذلك لأن الشرف من طريق النسب كان له شأنه : ط " المقدم الفريد " ج ١ ص ١١١ ص ١١١ تحت ١١٣ ص ٢ تحت ٤ " الأغاني " ط دلو الكتب المصرية مصر ١٩٢٧ ج ١ ص ٢١ ؛ " العقوف " تاريخ " ج ٢ ص ٢١٣ ؛ " الأغاني " ج ١١ ص ٨٦ ص ٤ ، ج ١٨ ص ٧١ ص ١٣ — اطلب ما تحت : " لا أم لك ، لا أبأ لك " من الشبهة في : " المبداء " أمثال " ج ٢ ص ١٧٣ : " قال أبو الهيثم : لا أم لك عندنا في مذهب : ليس لك أم حرة ، وهذا هو الفهم الصحيح ... فأما إذا قال : لا أبأ لك ، فلم يترك له من الشبهة شيئاً " . وفي " خزائن الأدب " للبغدادي مصر ١٣٤٨ ج ٢ ص ٥٧ غير هذا : " وقوله : لا أبأ لك ، يستعمل كناية عن المدح والتمجيد . ووجه الأول أن يراد نفي نظير المدح ببق أبيه ، ووجه الثاني أن يراد أنه مجهول النسب " . والرأى الثاني أن هذا التعبير مما ابتدئ على كثرة الاستعمال ، فأضاع قوته ، ومثله كقول الطائي لهذا العهد : " يا ابن الأية " .

(٤٩) " الأشراف والطبقة العالية " : " كتاب الحاج " المنسوب إلى الخياط ط أحمد زكي ، مصر ١٩١٤ ص ٢٧ . والكتب التي ألفت في الأشراف لعهد الإسلام : ط " السلافي " " أشراف الأشراف " ط Gauthier القدس ١٩٣٦ ص ١١ ي ي من المندسة الفرنسية . (وكان لهذه الطبقة حقوق وامتيازات) .

(٥٠) مثلاً : " وكان فلان شريفاً (سيداً) " (" الأغاني " ج ١١ ص ٩٢ ، ١٤٠) . " وكان فلان من أشراف أهل السكوة " (" الأغاني " ج ١٣ ص ٤٦ ؛ ج ٧ ص ١٨٢ ج ١٩ ص ٦٢ ج ٢٠ ص ١٢٧) . " الملوك والأشراف " ، " الكرامات من النساء " (الخياط " رسالة القيان " في " ثلاث رسائل " ط فينكل Finkel مصر ١٣٤١ ص ٦١ ، ٥٧) .

إلا أن هذه الطبقة طرأ عليها ما لم تعرفه الجاهلية . وذلك أن أهلها كانوا ، أوّل الأمر ، من آباء كرام المنبت (مثل أشراف الجاهلية) ، وفيهم ألفت كتب كثيرة ؛ ثم أطلق اسم الشريف في الإسلام ، بحسب قول السيوطي ، « على كل من كان من أهل البيت ، سواء [أ] كان حنفيًا أم حنفيًا أم علويًا من ذرية محمد بن الحنفية وغيره من أولاد علي بن أبي طالب أم جعفريًا أم عقيليًا أم عباسيًا ... فلما ولى الخلافة الفاطميون بمصر قصرُوا اسم الشريف على ذرية الحسن والحسين ، فاستمر ذلك بمصر إلى الآن » (٥١) .

ونعود هنا إلى المدلول المجازي الأول ، وهو الرتبة وما عقبها من السؤدد . وهذا المدلول شائع في تأليف العرب : ففي « كليبلة ودمنة » (٥٢) : « وظن أن ذلك نقره وشرف ورفعة » . ومنه : مقابلة الذي « بالشريف » في الكتاب ذاته (٥٣) . ومنه أيضاً قول الأحموس ٥ : ٢٠٥ :
ما من مصيب نكفٍ أرمي بها إلا تشرقني وترفع شائي (٥٤) .

(٥١) كتاب المعجزة الزينية في السلافة الزينية ط " فهرس الكتب العربية الموجودة بالدار (دار الكتب المصرية) ج ٥ ص ٢٦٤ (مجاميع) : خ رقم ١٩١ . لفظة آل البيت ، وانتشار الأشراف ، والكتب المؤلفة فيهم ، ط حسن النجار " الأشراف " مصر ١٩٣٨ . ولغة عقابة الأشراف وصحتها في الإسلام ولباس الحضرة ، ط محمد إسماعيل النقاشيني " الإسلام الصحيح " القدس ١٣٥٤ ص ٢٩٩ ي ي . ولأنساب الأشراف ، ط مثلاً : محمد بن أحمد ... النجفي " بحر الأنساب المستشرق الكتشاف لأصول السادة والأشراف ... ط حسين محمد الرفاعي ، مصر ١٣٥٦ .

(٥٢) بيروت ١٨٩٩ ص ٢٦٥ .

(٥٣) ص ٢٤٧ .

(٥٤) " ألفرد الفريد " ج ١ ص ١٩٣ .

وفي رواية أخرى : « ... إلا تعظمنى وترفع شافى »^(٥٥) . وهذا يدل على أن الشريف يفيد التعظيم^(٥٦) . وعلى هذا الوجه فسر قول بعضهم للنصير : « ولا أقوم من مقام شرفى به أمير المؤمنين ورفعنى »^(٥٧) ، ثم أدرك ما تحت هذا التعبير : « دار الشريفات الشريفة » و « الخدمة الشريفة الناصرية » ببغداد لعهد الناصر لدين الله^(٥٨) .

والشرف إذن يفيد الرفعة والسؤدد والعظمة ، ويجاور الفخر على ما جاء قبل في « كتيبة ودمنة » وما ورد في « تاريخ » اليعقوبى عند الكلام على مساجلات الشعراء في أسواق الجاهلية^(٥٩) . ويجاور الفضل أيضاً ، قال محمود الوراق :

من شرف القمر ومن فضله على الفنى إن صح منك النظر ...^(٦٠)

ولذلك جعل ابن قتيبة بعض الكلام على الشرف في باب « الكمال والتناهى في السؤدد » من « عيون الأخبار »^(٦١) . وما ساقه أن معاوية كتب إلى زياد : « انظر رجلاً يصلح تنقر الهند قوله » ، فعرض زياد

(٥٥) « الأغانى » ج ٤ ص ١٤ .

(٥٦) ينسب أبو زيد الغرسي « جمهرة أشعار العرب » ص ١٣٧ لفظة الشرف بكسب الشرف ، ولفظة الخطر بالشرف .

(٥٧) « التطرف » ج ١ ص ١٨١ .

(٥٨) ابن الناصى الحازن ٥ ٦٧٤ « الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السوء » ص ٢٨١ ، ٢٧٨ .

(٥٩) ج ١ ص ٢٠٤ : « وتجتمع القبائل والعشائر فتسمع شعر (الشاعر) ويجعلون ذلك نظراً من نقرم وشرفاً من سرامهم » .

(٦٠) « عيون الأخبار » ج ١ ص ٢٤٩ . انظر الحافظ « الجوهري » ج ١ ص ٢٦١ : « القدر الفريد » ج ١ ص ١١٢ ص ٢ تحت .

(٦١) ج ١ ص ٢٢٧ .

الأخنف بن قيس وسنان بن سلمة ، فوجه معاوية سناناً لحقده على الأخنف ، فكتب إليه زياد : « إن الأخنف قد بلغ من الشرف والحلم والسود ما لا تنفعه الولاية ولا يضره العزل » . وثمة باب آخر في « عيون الأخبار » عنوانه : « الشرف والسود بالمال ... »^(٦٢) .

وبعد ، فهذه فقرة معترضة ، يجرى فيها الحديث على اقتراح لفظة الشرف ومشتقاتها بغير العاقل ، في كتب العرب . مثال ذلك باب من « إحياء علوم الدين » للغزالي ، عنوانه : « في القتل وشرفه ... » ، بعد كلام على « شرف العلم »^(٦٣) ؛ وقول الماوردي : « فإن شرف المطلوب بشرف نتائجه »^(٦٤) . ومثال ذلك أيضاً قول الجاحظ : « فأنى صناعة على وجه الأرض أشرف منها (يعنى صناعة الفناء) »^(٦٥) ؛ وقول ابن الأثير : « إن علم الحديث والآثار من أشرف العلوم الإسلامية قدراً »^(٦٦) ؛ ثم ما جاء في « لسان العرب » عن أحمد : « أشرف آية في القرآن آية الكرسي »^(٦٧) ؛ وما ذكره الميداني : « الفالوذ ... أشرف طعام وقع إليهم »^(٦٨) . ومثال ذلك أخيراً ما سطره الجاحظ : « ولو كانت الكتابة

(٦٢) ج ١ ص ٢٢٩ . ثم : « قيل لمعاوية : أخبرنا عنك وعن بني هاشم ، قال : بنو هاشم أشرف واحدنا ونحن أشرف عدداً ... » (« المقصد الفريد » ج ٢ ص ٤٦) . ز ما يأتي بعد من الكلام على الشرف والسود .

(٦٣) مصر ١٣٤٨ ج ١ ص ٧٢ .

(٦٤) « أدب الدنيا والدين » مصر ١٣٣٢ ص ٣ .

(٦٥) « رسالة القبان » ص ٧٥ . ز الجاحظ « نثر السودان ... » في « مجموعة رسائل » مصر ١٣٢٤ ص ٨٠ ص ٨ .

(٦٦) « النهاية في غريب الحديث والأثر » مصر ١٣١١ ج ١ ص ٢ .

(٦٧) ج ١ ص ٧١ ص ٦ .

(٦٨) « أمثال » ج ٢ ص ٧٦ . ز ابن جني « الخصائص » مصر ١٩١٣ ص ٢٢٣ .

شريفة والخط فضيلة ، كان أحق الخلق بها رسول الله ^(ص) ؛ وما دونه
ابن خلدون : « اعلم أن فن التاريخ ... شريف الغاية » ^(٧٠) والبرد ^(٧١) ،
وابن جني ^(٧٢) .

وصفة الشريف وما إليها ، فيما تقدم ، تنازب صفة الكريم . شاهد ذلك
قول الجاحظ : « في هذه الصناعة (يعني صناعة الفناء) الكريمة
الشريفة » ^(٧٣) ؛ وعلى هذا قول ابن جني : « هذه اللغة الشريفة
الكريمة ... » ^(٧٤) .

وعند الفراغ من هذه الفقرة العترضة ، نعود إلى الكلام على المذلولات
المنطوية في لفظة الشرف في الإسلام ؛ فإذا هي ، على حسب ما ولى من
التبيين ، رفعة المنزلة والسودد والعضمة ، إلى ما يتاوبها أو يدخل تحتها ،
نحو الفخر والمجد والفضل ^(٧٥) .

- (٦٩) " ذم إطلاق الكتاب " في " ثلاث رسائل " مصر ١٣١٤ من ٤١ .
(٧٠) " مقدمة " بيروت ١٩٠٠ من ٩ .
(٧١) " الكامل " Leipzig ١٨٦٤ ي من ٢ .
(٧٢) " الخصائص " من ٢٢٥ . أضيف إلى كل ما تقدم القول السابق : « القرآن الشريف ،
والحديث الشريف ، والأزهر الشريف » .
(٧٣) " رسالة البيان " من ٧٤ . ز " البيان والتبيين " مصر ١٣١١ ج ٢
من ٨١ من ١٩ ي .
(٧٤) " الخصائص " من ٤٥ . ز قول الخرينزي : « ... إلى أن شرف الله الفتوة
وكرمها » (" تحفة الواسل " خ آيا صوفيا رقم ٢٠٤٩ من ١٠٨ ، ط
Taschner, Petersburg - Studien مجة Islamica المجلد ٥ من ٣١٥) .
وكذلك قولنا : « القرآن الكريم » . (وفي التعريف هنا معنى التفضيل أيضاً ، ز :
« ... شرف العربية وعظمها » : الثمالي " فقه اللغة " أول المقدمة .)
(٧٥) قد تقدمت الشواهد على الفخر والفضل . أما المجد فن " عيون الأخبار " ج ١ من ٢٤١ : « لا تسأل الناس ما مجدى وما شرفى » . ز " خزنة الأدب " ج ٢ من ٥٧ : " الصباح النبى " من ٤٤٩ ؛ " القاموس المحيط " مادة م ج د .

وكأنى بك تقول : هانت ذا أخصيت مفادات الشرف . فالذى
في الحقيقة أن الشرف من الألفاظ التي قدّر لها أن تسير في طريق
لا يرى آخره . وأكثر الظن أن الشرف غلب عليه الجانب المعنوي
من مدلوله الأول أي غلب حتى إنه أسمى كلمة رمزاً *mot symbole* ،
أعني كلمة متى تقع في مسمعك تنشر في خاطرك مجموعة من القيم المجردة .
ودليل هذا أن لفظة الشرف اتفق لها أن تنافس مفردات نحو : المروءة
والأدب والكرم . قال ابن قتيبة : « فهذا وما أشبهه مزج الأشراف
وذوي المروءات »^(٧٦) ؛ وفي كتاب التاج^١ المنسوب إلى الجاحظ :
« ويخرج بها عن حد أهل الأدب والمروءة والشرف »^(٧٧) ، ثم في
كتاب العرب^٢ أن الشرف ينظر إلى الكرم الذي هو ضد اللؤم^(٧٨) .
ومن العلوم أن المروءة والأدب والكرم ، بمعانيها المطلقة ، تتضمن قيماً
أخلاقية كثيرة .

بقى أن نتبين ما يفيد هذا الشرف الذي يقع موقع كلمة رمز .
فدونك بعض النصوص :

١ - « فقد هجّوا (يعني قبيلة من العرب) بذلك وشرفهم وافر »^(٧٩) .

(٧٦) " أدب الكاتب " مصر ١٣٤٦ من ١٣ . ز نول الباهلي " الذخائر والأعلاق
في آداب النفوس ومكارم الأخلاق " مصر ١٢٩٨ من ١٣٦ : ٥ وأسباب
المروءة إنما هي مرتبطة بدور النفس .

(٧٧) من ٧٧ . ز " كتيبة ودنة " من ١٦٣ : ٥ لا يضمن ... من الأدب
في الشرف

(٧٨) من ٢٨١ من ٢٣ ي ي . ومن ذلك أن الشريف أفاد الكريم إذا وقع
صفة لغير العاقل .

(٧٩) " البيان والبيان " ج ٢ من ١٧٠ من ٨ ي .

ب - « ولم أكتب هذا الشعر ليكون شاهداً على مقدار حفظهم في الشرف »^(٨٠).

ج - « ... وقال : هلك سيدنا ثم خدعك عنهم حتى تدفعهم إليه فينتلهم ، فلا شرف بعدها »^(٨١).

وإن سألتني : ما أفهم من الشرف الوارد في هذه النصوص الثلاثة ، قلت : ما تفهم أنت من نقطة الشرف لهذا العهد في مصر خاصة (وضدها العار إذن) . وإذا اعترضت على* بنوك : إن نقطة الشرف في تلك النصوص قد وردت قائمة برأسها ، فما من شيء قبلها ولا بعدها يبرز ما تذهب إليه ، فضلاً عن أن السياق لا يمنع الدهن من الانصراف إلى مقصود آخر : جعلت ردى على الاعتراض مصراع بيت لمحمد بن حازم الباهلي من شعراء الدولة العباسية : « ما الفقر عار ولا الغنى شرف »^(٨٢). فالمقابلة جلية : ههنا الشرف ، وهنالك العار .

ولا شك أن ما تحت هذا الشرف من المعنى متحدر من المدلول المجازي للشرف الجاهلي ، أعني الرغمة وعلو المنزلة : وحينئذ بيت المعتنبي مشهور :

لا يعلم الشرف الرفيع من الأدنى حتى يراق على جوانبه الدم^(٨٣)

(٨٠) ذ. ترك س ١٥ .

(٨١) * الأغاني ج ١٦ ص ٣٠ .

(٨٢) * عبود الأخبار ج ١ ص ٢٤٦ .

(٨٣) * ديوانت* بيروت ١٣٠٥ ص ٦٢٠ . ذ بيت له آخر ص ٢٣٨ ، فيه

يعتدل الشرف الرغمة :

إذا غمرت في شرف مروج فلا تنع بما دون النجوم .

وأقرب الظن أنك توافقني على أن الشرف في هذا البيت يقابل العار عند النبي : فانظر كيف وصفه بالرفعة .

وهنا مطلب جديد : كيف صارت الرفعة إلى اجتذاب العار ؟ ولعلك تقول : من الأمر الطبيعي أن تنتهي الرفعة إلى طلب التنزه عن الخاوي والمعائب ، على أن مثل هذا القول لا ينهض ربهضة الدليل المقسم : ذلك بأنه يرجع إلى رأى قبلي^(٨٤) . والآراء القبلية لا يسلم بها المنهج الوضعي . واتوجه ، في هذا الموضع ، أن الرفعة قد يتفوقها على اختلاف الأمم وتباعد الأرمنة أن ترضى بالأمور العائبة ، وربما اقتضتها . وهذه مسألة لو عرضت لها لعرفت هذا المبحث عن غرضه . فحسبي الإشارة إليها . ولناخذ الآن في ذلك المطلب الجديد :

قد رأيت أن الرفعة في الجاهلية أفادت علو المنزلة والسيادة من طريق صفاء اللب ، وذلك من باب تقييد المعنى . ثم جاء الإسلام فنصب الحرب للفخر والآباء ، فخر الشرف — بهذا — مما قيد به ، من جهة المبدأ على الأقل . فلما صار الشرف طليقاً مع بقاءه على مدلوله الأول وهو الرفعة ، انحرف إلى ضم الأخلاق الكريمة . أما قرأت فيما تقدم كلمة البيهقي ، ومجملها : أن الشرف في الأفعال لا في النسب ؟ نخذ الآن قول ابن قتيبة : « قدوة الهمة تسمو به نفسه إلى معالي الأمور ... ويجوز الشرف لنفسه ولذريته ... إن أولى الأمور بالمروء خصاله

(٨٤) قبلي : نسبة إلى قبل (وبسدى : نسبة إلى بعد) عذ ابن رشد "تهافت التهافت" ط Houyges بيروت ١٩٢٠ من ٢٦ ص ٧ ، من ٧٥ ص ٦ ، من ٧٦ ص ٩ . وأما على نفس طراي القبلي فيفيد المعنى القائم في الذهن قبل شهادة التجربة .
prémotion apparente

في نفسه ، فإن كان شريفاً في نفسه وآبؤه لثام لم يضره ذلك ، وكان الشرف
أولى به ، وإن كان لثيماً في نفسه وآبؤه كرام لم ينفعه ذلك ^(٨٥) .
ومن هنا يتبين أن الشرف في النفس ، وأنه يلم - من قبيل التضمين -
تتأريق الأخلاق الكريمة : أما أنه في النفس فيؤيد ذلك فعل في
" العقد الفريد " عنوانه : " بعد الهبة وشرف النفس " ^(٨٦) . وأما أنه
يحتمل الأخلاق الكريمة فإليك قولاً للحصري يزيد إلى شرف الجاهلية
شرف الإسلام : " قد جمع (فلان) شرف الأخلاق إلى كرم الأنساب " ^(٨٧) .
وعلى ذلك ينت للبحري :

تكفأ عنهم نعمي فتى شرفت أخلاقه وطما بالعرف وادبه ^(٨٨) .

وعلى ذلك أيضاً قول الثوردي : " وبعيد أن تسلم إلا لمن كان
استكمل شرف الأخلاق طبعاً " ^(٨٩) .

(٨٥) " كتاب العرب " ص ٢٨١ : ثم ص ٢٧٩ : " وعدل الخول في الشرف أن الناس
لأب وأم ، خلطوا من تراب وأعيدوا إلى التراب ... فهذا ضيق الأمل ...
وأما النسب الأدنى الذي يقع فيه التفاضل بين الناس في حكم الدنيا ... فإن الله
خلق آدم من قبضة جميع الأرض ، وفي الأرض السهل والخراب والأحمر
والأسود ... (وفي الناس) الشجاع والجليل ، والبخل والحواد ... " . وهنا
يذكر ابن قتيبة غلات الناس في شهراتهم وإزاداتهم وعراثرهم ، ثم يزيد ص ٢٨١ :
" وهذا وأشبهه من لعم الفرائز كثير في الأمم ، وهذه الطائفة من أسباب
الشرف وأسباب الخول ، فتبو الهبة الخ " .

(٨٦) ج ١ ص ١٩١ . ز " المستطرف " ج ١ ص ١٨٣ : الباهل لك من ١٢٦
ص ١٩١ . وفي " أدب الدنيا والدين " ص ٣٢٢ ي : " وأما شرف النفس
فإنه به يكون قبول التأديب واستقرار التقويم والتهديب " . ثم يقل : " دمة شريفة " .
(" العقد الفريد " ج ١ ص ١٩١) .

(٨٧) " زهر الآداب " ج ١ ص ١٣٦ .

(٨٨) " ديوان " بيروت ١٩١١ ص ١٧٥ .

(٨٩) " أدب الدنيا والدين " ص ٣٢١ .

وإن سألتني : متى خرج الشرف بهذه المعنوية القائمة ؟ قلت : لا أدري ؛ ولكنها نزعات إسلامية تساقفت فأجرت الشرف ذلك المجري . والتضريب في القول أن الشرف ، بذلك المعنى الخلقي ، قديم ؛ ولعله يصعد إلى الجاهلية^(٩٠) ، فلم يُشرق فيها بسبب غلبة الشرف القائم بصفاء النسب ، فضلاً عن أن لحظة العرض كانت يومئذ تقوم مقام مبدأ أخلاق ضخم الشأن^(٩١) . وكيف كانت الحال فهذا نص من قلم الجاحظ : « وهم (يعني الزنج) شجعاء ، أشداء الأبدان ، أسخياء . وهذه هي خصال الشرف مع حسن الخلق وقلة الأذى ؛ لا ترى أحدهم أبداً إلا طيب النفس ، ضحوك اللسان ، حسن الظن ، وهذا هو الشرف »^(٩٢) .

وكان هذا الشرف الطاري، قدي على مدار الزمن واستوى على الأذهان ، بما تضمن من الأخلاق الكريمة حتى إنه أصبح لفظاً جامعاً لها . فانتهي به الأمر إلى أن بلغ في عيونا هذا مرتبة عالية واستوى

(٩٠) أن يكون الرجل كرماء عزيزاً بفعله لا بأفعاله آتاه (أي بحسبه) ، ذلك أمر جرى في الجاهلية ، ط " القضبان " ط ١٩٣٠ بيروت ١٠٧ ص ١٠٧ ؛ " المدد العربي " ج ١ ص ٢٢٠ تحت ٢٢١ فوق ؛ ثم " لسان العرب " ج ٣ ص ٢٤ ص ١٨ ؛ " الخارص (وهو) الذي يخرج وعرف (الشرف أي الرقة) من غير أن يكون له غديم (= عصامي) .

(٩١) ط بشر فارس " نكتة دائرة المعارف الإسلامية " لندن ١٩٣٦ مادة " عرض " . (ترى بعد كيف صارت لحظة العرض مقصورة على علة المرأة في سورية وشرق الأردن ومصر .)

(٩٢) " غراندودان ... " في " مجموعة رسائل " ص ٦٤ .

بين الكلمتين الروامز . وكلنا يعرف بالبصيرة والسليقة ما تحت كلمة الشرف
الساخرة في مصر ثم في نجد وشرق الأردن وسورية (٩٣) .

ومن ذلك الشرف هذا اللون من الخلف : « وشرقي » وشرقيك » ؛
ومن ذلك قولنا في مصر : « ودشرف » للتعبير عما يقال له في لغة أهل
القانون : « تعويض الضرر الأدبي » *dommages et intérêts moraux* (٩٤) .

ولهذا الشرف عندنا معنى آخر خاص ، يلبس على ما يتصل بعفة
المرأة . وهو يناقض إذن لفظة العرض ، بمعناها المستحدث في سورية
وشرق الأردن حتى في مصر . ونتيجة هذا التنافس أنك تقرأ في صفحا
الخبر الواحد هكذا : في " القطم " (٩٥) : يقتل فلان أخته طعناً بالسكين
« دفاعاً عن الشرف » وفي " الأهرام " (٩٦) : « في سبيل العرض » يحضر
فلان من السويس سيراً على الأقدام ، ويقتل شقيقته لسمه سلوكها .

وإلى جانب المعنى الأول العام للشرف عندنا ، وهو السائد . ثم
المعنى الثاني الخاص ، وهو في طور الاستواء ، ترى مدلولات للشرف
تنجذب إلى المدلولات القديمة : منها : « تشريف الملك ، التشريفات ،
التشريفاتي » (٩٧) ، والمقصود : التعظيم والتكريم . ومنها : « الأشراف »

(٩٣) ط " العرض عند عرب الجاهلية " ص ٢٣ . وأما في الجزائر ، فيقال : « بشف ، حشمة »
ط R. Maunier, *Introduction à la Sociologie*, Paris 1929 ص ٢١ .

(٩٤) يشير في النص القانوني الدكتور حامد زكي ، أستاذ القانون المدني في كلية
الحقوق بجامعة نواد الأول .

(٩٥) ١٩٣٨/٩/١٧ ص ٨ . ز ذ ١٩٣٧/٩/٣٠ : " البلاغ " ١٩٣٧/١/٢٣

(٩٦) ١٩٣٨/٩/١٨ ص ١١ .

(٩٧) ولفظة « التشريفاتي » (وصفتها تركية) تطلق على القائم بنظام التشريفات *maitre*
des réceptions ؛ والتشريفات خاصة بأداب الدخول على السلاطين في الوعد

وقد قصر مؤدى هذه الكلمة، في مصر على الأقل، على الجماعة المعروفة، ولها نقابها^(٩٨).

هذا وقد هجم على الشرف، بمعناه العام عندنا، مدلولات لا عهد لتفتنا بها، من جانب اللفظة الإفرنجية *honneur, honneur*. من ذلك: « شرف المهنة » *honneur professionnel*، و « وصالف الشرف » (في حفلات الزفاف عند المسيحيين)^(٩٩) *demoiselles d'honneur, maids of* *honour*، و « شهادة كذا بدرجة شرف » *avec mention honorable*، و « *such and such a degree with honours* »، و « رئيس شرف » و « لجنة شرف » *président, comité d'honneur, honorary president...*، وقد يتطلف أهل سورية فيقولون: « أدي الرجل مادية على شرف فلان » *en l'honneur d'un tel, in honour of so and so* والمقصود: إكرامه.

الضروب العنول بين هذه *cérémonial*، ط "ترجمان اللغات" القسطنطينية ١٢٨٨ ج ١ ص ٢١٦ ي. ومن ذلك قول الترك: « لشريفاتي ديوان هابوني » (الديوان الأكبر)، « شريفاتي صدراوت عظمى » (الصدر الأعظم)، ط: خر. ساهي "ديوانس تركي" القسطنطينية ١٣١٧. ونستعمل اليوم في مصر لفظة « الأميين » *chambellans* إلى جانب لفظة « الشريفاتي » و « مسكرتير الخديفات » في القصر الملكي. (٩٨) للاعتراف في الجوار مثلاً، ط أمين الريعاني "ملوك العرب" ١٩٢٩ ج ١ ص ٢٢؛ حافظ وهبه "جزيرة العرب في القرن العشرين" مصر ١٩٣٥ ص ١٦٦ ي، ١٦٦ ي. ولا اعتراف المعاصرين في البلدان الإسلامية، ط حسين محمد الرفاعي "كذاب الوصاف المبين في صفات ومناقب آل البيت الأعتراف المعاصرين" مصر (١٩٣٧). وأما طبقة الأعتراف فهي الطبقة العالية فقد حل محلها «الحاسة» والطبقة الراقية «لأن المعروس أن فقات الاجتماعية تواضع المساواة؛ فلا شريف ولا وضع ولا نسب فتعلم ولا نسب ضليل. (أذكر أن العرب لهذا العهد يستعملون كلمة الشيخ «أرؤساء» والأميان.) (٩٩) مجلة "الصور" مصر ١٩٢٨ العدد ٧١٧ ص ١٦ تحت. و « وصفات الشرف » (خلالة اللذة) *dames d'honneur, de la reine*: "الأحرار" ١٩٢٩/٣/١ ص ١.

وهناك تعابير داخلية في أدب الخطابة ، لها ما يسوغها في فصيح كلام العرب ؛ إلا أنها إفريقية حرفاً لحرف . منها : « أنشرف (أو : لي الشرف) بأن كذا وكذا » *j'ai l'honneur de... I have the honour to...* ومن المأثور عن الفصيح : « شرفه الله شريفاً ، وتشرف بكذا أي عنده شريفاً » (١٠٠) .

ومما يذكر على سبيل التلميح أننا نقول : « الدكتوراه الفخرية » (١٠١) ، ونريد بالفخرية التعبير اللاتيني *honoris causa* (أي : لأجل الشرف) . فتأمل كيف عبرنا عن تلك النقطة هناك بأنشرف وهنا بالفخر . وعندى أنه لا غرابة في ذلك ، وقد تقدم في هذا البحث أن الفخر جاء في أساليب البلغاء مجاوراً للشرف . فالذي ارتجل تعبير : « الدكتوراه الفخرية » أراد الشرف وقلمه منصرف إلى نقطة تجاوزها في اللغة (١٠٢) .

تلك قصة نقطة الشرف . ولا أقول تاريخها ، إذ لم أستوعب كل شيء . ألم ترفى أهملت ذكر ورود هذه النقطة ومشتقاتها أسماء أعلام ؟ أضف إلى هذا أني لم أعتقها خطوة خطوة ، ولم أظلمها في آثار النجوم على استقصاء . ولو فعلت لانتشر هذا البحث في سفر كامل .

(١٠٠) " لسان العرب " ج ١١ ص ٧١ ص ١١ . أما قولنا : « انشرف شريفاً » فقد استعمل

فيه معنى التعريف لكثرة الاستعمال ، نظف ونقه *usage semantique* بحيث دل على الزيادة فقط .

(١٠١) مجلة " الرسالة " مصر ١٩٣٩ السنة ٧ العدد ٢٩٥ ص ٤٢٢ . " الأهرام " ١٩٣٩/٢/٢٤ ص ٨ . " المظلة " ١٩٣٩/٢/٢٥ ص ٦ .

(١٠٢) فائدة — لا يزال اللغوي المسمى الأول نقطة الشرف ، وهو الارتفاع ، مستعملاً لهذا المعنى في مثل قولنا : « شريفاً » كما يبرز من المنازل لأجل الإطلال *balcon* (مثلاً " الأهرام " ١٩٣٩/٣/٣ ص ٦) . والمعرفة ، في صحيح العربية : « ما يوضع على أعلى المنصور والمدن » فـ " مجلة مجمع اللغة العربية الشامي " مصر ١٩٣٥ ج ٢ ص ٨٧ ، ز قبل (ح) ٣٦ — وما استعمل من باب الجار : « فلان يشرف على عمل كذا » ، ز في القديم : « حاسة أبي تمام " مصر ١٣٤٦ ج ٢ ص ٦ ، ٢٦ .

بقى أن هذا المبحث لا يتم فائدته إلا إذا تأملته من جانبين : الأول لغوي ، وهو يلحق بفن النقل ، والمراد انتقال معنى اللفظ من موضع إلى موضع ؛ والثاني اجتماعي ، وهو يدخل في علم الواقعات الخلقية .

أما الجانب الأول ، فجملة القول أنك رأيت كيف خرجت لفظة الشرف في الجاهلية من الحسن إلى المعنى ، فأفادت ، أصلاً ، رفعة المنزلة على العموم ، ثم السيادة من قبيل إطلاق العام على الخاص ؛ ورأيت بعد هذا أنها استلزمت صفاء النسب من باب التقييد ، فالت عن معناها المجازي الأصلي ، وهو رفعة المنزلة ، لتساير لفظة الحسب . حتى إذا طلع الإسلام رجّعها إلى الرفعة ، لتسخه الفخر بالآباء . ولكن طائفة من المسلمين عادوا إلى الشرف بذلك المعنى التقيد ، ليدلوا به على الانتساب إلى الرسول ، فضلاً عن أن الأشراف ، أي أصحاب الأنساب الراجعة في العشائر والقبائل ، بقوا بالفعل *en acte* مدةً على ما كانوا عليه في الجاهلية . وما زال المعنى الأصلي والمعنى التقيد في مغالبة ، حتى فاز الأول بفضل السنة الإسلامية وببصرة طائفة من الكتاب المسلمين . فلم يبطئ أن يجذب إلى مضمونه مجموعة من القيم الأخلاقية ، حتى صار كلمةً رمزاً ، لها قوتها ولها جاهها *prestige* . فخل بهذا محل لفظة العرض الجاهلية . والذي أعانه على ذلك أن العرض كان خاصاً بالنظام الاجتماعي قبل الإسلام ، فأصبح معه كأنه شيء ، فتم تغير أوانه ، على حسب ما بينت في مبحث آخر^(١٠٢) . وعلى هذا الوجه انتعش الشرف إلى أيامنا هذه ، وقد أضاف إلى قيمه فيما أخر نظرت إليه من ناحية الغرب .

وأما الجانب الثاني ، وهو الداخل في علم الواقعات الخلقية ، فحديثه متناقلة إلى ماوراء هذا المبحث من مسائل فلسفية ، نخرج بها عن المقصود الأول .

(١٠٢) "سكة دائرة المعارف الإسلامية" مادة "عروس" .

V

بعض الاصطلاحات^١

١ - في اصطلاحات الموسيقى

المساوقة و المراسلة

إن عند الإفرنج اصطلاحاً موسيقياً هو لفظة *accompagnement* في الفرنسية و *accompaniment* في الإنجليزية و *Begleitung* في الألمانية . وهذه اللفظة تفيد متابعة الغناء بالآلة أو بالصوت ، على غير تفريق . ومكانتها في المواضع الموسيقية في المحل الأول عند القوم أو عندنا . واللغة العربية لهذا العهد يُعوزها ما يُعبر عن هذه اللفظة . والتحقيق أن العرب تفتضن في هذا الوطن ، لا لفظاً واحداً ؛ أحدها يدل على متابعة الغناء بالآلة ، والآخر على متابعته بالصوت . أما اللفظ الأول ، فهو : *المساوقة* ، وهي متابعة الغناء بالآلة ؛ قال ابن خلدون (بعد ما تكلم على تلحين الأشعار الوزونة بتقطيع الأصوات على نسب منتظمة معروفة) : « ... وفند يسألونك

« نصر هذا البحث مختصراً في " مجلة مجمع اللغة العربية للسنين ١٩٣٥ ج ١ ، السنة ١٩٣٤ ، ص ٣٩٤ - ٣٩٩ . (وقد أضيف إليه ما يمس المواضع) .

ذلك التلحين في النغرات الغنائية بتقطيع أصوات أخرى من الجمادات ،
إما بالقرع أو بالنفخ في الآلات تُتخذ لذلك ... » (وهنا ذكر
الآلات ووصفها) ^(١) .

وبعد ، فدعني أصرح بأنني لما عثرت على هذا النص ، عمدت إلى
كتب اللغة ^(٢) ، أستفسرها لتساوقة ؛ فلم أصبها بالمعنى الذي أورده به
ابن خلدون .

ولعلّ "التساوقة في الموسيقى" مأخوذة من اصطلاح الفقهاء ، أو لعلّ الأمر بضدّ
ذلك . قال صاحب "المصباح المنير" ^(٣) : « والفقهاء يقولون تساوقت
الخطبتان . ويريدون المقارنة والمعينة ، وهو ما إذا وقعتا معاً ولم تسبق
إحداهما الأخرى . ولم أجده في كتب اللغة بهذا المعنى » .

وكيفما كانت الحال فأني شيء يحفظ إيراد لفظ "التساوقة" بمعنى
accompagnement ؛ من قبيل الجاز ؛ فالتساوقة ، في اللغة : المتابعة ،
وتساوقت الإبل : تتابع ، كأن بعضها يسوق بعضاً ^(٤) .

وأما اللفظ الآخر ، فهو : المراسلة ، وهي : متابعة الغناء بالصوت .
قال صاحب "المصباح المنير" ^(٥) : « ترأسل الناس في الغناء إذا اجتمعوا

(١) "مقدمة" مستهيل" فصل " في صناعة الغناء " (بيروت ١٩٠٠ من ٤٢٢) .

(٢) وفي جملتها " المختصر " لابن سيده .

(٣) مصر ١٩١٢ من ٤٥٧ ي . — وأما الفلاسفة ، فالتساوقة عندهم : تستعمل فيها

زعم الانحداد في المهرج : أبو البقاء ، "الكليات" مصر ١٢٨١ من ٣٤٥ من ١٠ .

ز التهانوي "كشف اصطلاحات الفنون" كتابخانه ١٨٦٢ ج ١ من ٦٨٤ .

(٤) "تاج المروس" ج ١ من ٢٨٩ فوق . "أساس البلاغة" مصر ١٩٢٣

ج ١ من ٤٦٨ .

(٥) من ٣٤٧ ي .

عليه ، يبتدئ هذا ويمدّ صوته فيصيق عن زمن الإيقاع فيسكت ويأخذ غيره في مدّ الصوت ويرجع الأول إلى النغم ، وهكذا حتى ينتهي . قال ابن الأعرابي : والعرب تسمى المراسل في الغناء والعمل : المتالي : يقال راسله في عمله : إذا تابعه فيه ، فهو رسيلا ؛ ولا تراسل في الأذان ، أي لا متابعة فيه ، والمعنى لا اجتماع فيه . ومن هذا قول تاج العروس ^(٦) فيما استدرك : « وهو رسيلا في الغناء ونحوه ، وراسله الغناء : إراه في إرسائه ... » . ولا يسبقن إلى الظن أن المراسلة في الغناء من الترسيل في القراءة أو الترسيل فيها ^(٧) ، فإنما هي من المراسلة بمعناها المشهور في قولهم : « تراسل القوم أي أرسل بعضهم إلى بعض رسولا أو رسالة » ^(٨) .

هذا ومما قلّمنا أن ابن الأعرابي يقول : « والعرب تسمى المراسل في الغناء والعمل : المتالي » . والظاهر أن المتالي أخص من المراسل : وشاهد هذا : « والمتالي الذي يرسل المغنى بصوت رفيع : قال الأخطل : صلت الجبين كأن رجع صهيله زجر المحاول أو غناء متالي » ^(٩) .

فالمقالة — إذن — مراسلة الغناء « بصوت رفيع » ، وكأنها مأخوذة من متابعة القارئ ؛ قال صاحب « أساس البلاغة » ^(١٠) : « تلا زيد (أي قرأ) وعمره يتاليه : وهو رسيلا ومتاليه » .

والخلاصة أن المساوقة متابعة الغناء ، بالآلة ، على حين أن المراسلة متابعة الغناء بالصوت . وأما المقالة فهي نوع من المراسلة .

(٦) ج ٧ ص ٣٤٥ من ١١ تحت .

(٧) وما الابتداء فيها . وكان اشتقاقها من أرسل . وقيل الترسيل في الغناء : الترسيل .

(٨) هذا رأي صاحب « الصباح » من ك .

(٩) « الصباح » مصر ١٢٨٢ ج ٢ ص ٤٤١ .

(١٠) ج ١ ص ٨٢ .

٢ - في اصطلاحات الفلسفة

التفرد و التماسك

إني أعرض لفظة : التفرد ، بدلاً من لفظة : الفردية ، الجارية على أقلام الكتاب هذا العيد ، للتعبير بها عما يقال له في الفرنسية *individualisme* والإنجليزية *individualism* والألمانية *Individualismus* . ثم إني أعرض لفظة : التماسك ، عوضاً من لفظة : التضامن ، الشائعة عند كتابنا ، للتعبير بها عما يقال له في تلك اللغات : *solidarité, solidarity, Solidaritaet* .

والتفرد أن يهمل الرجل جماعته ، قبيلة كانت أو أمة ، بأن ينقبض عنها فيجعل همه نفسه . وأما التماسك ، فأن يكون بين رجال الجماعة الواحدة التثام وتباير وتعاون ، بحيث يكونون من الجماعة بمكانة الأجزاء من الكل .

على أني أعلم أن كلا هذين التعريفين غير وافٍ . فإن لكل من التفرد والتماسك حصة مدلولات . وقد بسطها جميعاً الأستاذ لالند *Lalande* في " المعجم الاصطلاحي والنقدي للفلسفة " ^(١) . إلا أني وقفت عند التعريف الخاص بعلم الاجتماع .

إني أعدل عن لفظة الفردية إلى التفرد ، إذ الوجه — بحسب ما يبدو لي — أن الفردية تفيد ما يقال له عند الفرنجة *individualité* ، ومثلها كمثل لفظة الشخصية *personnalité, individuality, Individualitaet* . وبيان ذلك أننا إذا نظرنا إلى الفردية *personality, Persoonlijkheit* .

(١) *Vocabulaire technique et critique de la Philosophie*, Paris 1932. articles : *Individualisme, Solidarité*

والتفرد من جهة الفلسفة والبناء اللغوي جميعاً ، نبين لنا أن صيغة
لفظة الفردية تحتل الانفعال ^(٢) passivité ، أعني أنها تفيد الحالية .
وهي توافق — من هذا الباب — كلمة individualité ^(٣) . وأما
صيغة لفظة التفرد فهي فعالة ^(٤) forme active ، من حيث إنها تدل
على النشاط dynamisme . وهي توافق — من هذا الباب — كلمة
individualisme ^(٥) .

(٢) للوقوف على لفظي « الفعل » و « الانفعال » ارجع إلى أي البقاء « الكلمات »
من ٢٧٣ م ١٥ — ١٨ : « والفعل التأثير وإيجاد الأثر ، والافعال التأثير
وقبول الأثر ... » ثم اذكر أي فلاسفة العرب قالوا : « يفعل وينفعل »
في ترجمة للقولين التاسعة والعاشر من القولات العشر أو « الفاعليات »
les catégories (الأرسطوطاليس) ، ط ابن رشد « تلخيص كتب القولات »
ط Bouyges بيروت ١٩٣٢ م ٧٤ — ٩٠ ، القسم الرابع والخامس ؛
في هذين القسمين ترد « السكيفيات اللاحائية » بمعنى *qualitas passives* .
ز الحوارزمي « مفاتيح العلوم » مصر ١٣٤٢ م ٨٧ ص ١ : « والقولة التاسعة مقولة
ينفعل ، والانفعال هو قبول أثر المؤثر ، والقولة العاشرة مقولة بفعل وهو
التأثير في الشيء الذي يقبل الأثر مثل التسخين ، والانفعال مثل التبريد ، وكانفعل
والانفعال » . ويمرر هذا الجرجاني صاحب « التبريد » مصر ١٢٨٣ م
٢٦ : « الانفعال وأن ينفعل هما الهيئة الحاصلة للمؤثر عن غيره بسبب التأثير أولاً
كأهيئة الحاصلة للقطب ما دام مقطوعاً » . ثم ارجع بعد هذا كلامه إلى لاند ك ك
ج ٢ م ٥٦٣ ، الممود الثاني ، المدلول الأول و م ٥٦٥ ، الممود الثاني
critique لتبين أن مؤدّي لفظة *passivité* المتصلة اليوم بدلاً من لفظة
passion يطابق مؤدّي لفظة : اللاحائية ، الواردة هنا .

(٣) هذه الكلمة تدل على الكيفية : ارجع إلى لاند ك ك ج ١ م ٣٦٨ .

(٤) اذكر « العقل الفعّال » *intelligent actif* في الفلسفة الإسلامية الجارية بحري فلسفة
أرسطوطاليس . واذكر خاصة فصلاً لغزائلي عنوانه : « مقالة في معاني العقل »
في « المجموع » مصر ١٩٠٧ م ٥٤ . ز بين هذا الفصل والفصل الخامس
من الكتاب الثالث من « النفس » *De Anima* لأرسطوطاليس .

(٥) هذه الكلمة تدل على الميل والانجلاء *tendance* ، ارجع إلى لاند ك ك ج ١
م ٣٦٧ ، التعريف الخامس خاصة ؛ وهو التعريف الذي استندت إليه قبل .

ثم إنني أعدل عن لفظة التضامن إلى التماسك ، لا لأن بعضهم أنكر ورودها في متن اللغة ، فإن سبيل الاستقراق ميسور للسالك ؛ ولكن لأن الضمان في اللغة يفيد الكفالة ، ومنه : « في الحديث : من مات في سبيل الله فهو ضامن على الله أن يدخله الجنة »^(٦) .

وكان الذين استعملوا لفظة التضامن بمعنى التماسك أخذوها عن أهل القانون . وذلك أن التضامن -- فيما اصطلاح عليه القوم -- يحتمل معنى الكفالة وما وراءها من التبعية . ولقد أصاب أهل القانون عندنا في استعمال لفظة التضامن ، ألا تراها تؤدي ما تحت لفظة *solidarité* عند أهل القانون في فرنسا مثلاً ؟ غير أن لفظة *solidarité* -- في مصطلح الفلسفة -- لا ينحصر مفادها في الكفالة (والتبعية) ، بل ينسبط على ما تقدم في مسهل هذا البحث .

ومن هنا ترى أن الذين يبالغون الفلسفة عندنا ، اقتبسوا لفظة التضامن من اصطلاح علماء القانون ، على نحو ما صنع الفرنجة كما جاء في "معجم" لالند ؛ وهذا جعلوا اللفظة مشتركة من حيث لا يشعرون . ومن يقول إنه ينبغي لنا أن نذهب في هذا المطلب نحو الإفرنج ؛ فإن تواضعنا على استعمال لفظة التضامن في لغة القانون ، فليس ثمة ما يسطرننا إلى أن نستعملها في لغة الفلسفة ، ولا سيما

(٦) "لسان العرب" ج ١٧ ص ١٢٦ ص ٧ . ط أيضاً : مسلم "صحيح" مصر ١٣٢٤ ج ٦ ص ٣٣ ("كتاب الإمارة" باب فضل الجهاد) : "ضمن الله أن يخرج في سبيله ... فهو عي" ضامن أن أدخله الجنة ... " ر أحمد بن حنبل "مسند" مصر ١٣١٢ ج ٢ ص ٢٣١ ، ٢٨٤ . ثم لقروا حديثين آخرين : "ضمن ونكفل" ط هذا الحديث الآخر : "نكفل الله لن جاهد في سبيله ... بأن يدخله الجنة ... " (مسلم لك ج ٦ ص ٢٤) .

أن لفظة التماسك لدينا ، وهي مما تواتر من فصيح الكلام . ولقد
اعتديت إليها يوم تبيّن لي أن أقع على هذا النمل : « إن مع الكثرة
تخاذلاً ، ومع القلة تماسكاً »^(٧) .

والتماسك ضد التفكك^(٨) والاسترخاء^(٩) . وبهذا يدل على الثبات .
ومنه : « هذا حائط لا يناسك ولا يثباتك »^(١٠) . والشاهد أن : مسك
بالشيء . وتمسك وامتسك واستمسك تأتي بمعنى اعتصم به وتعلق^(١١) .
وهل يعتصم إلا بالشيء الثابت ؟ ولولا أن يكون الأمر هكذا ما جاء في
القرآن : « فاستمسك بالذي أوحى إليك »^(١٢) ثم : « فمن يكفر بالطاغوت
ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها »^(١٣) .

هذا وإن طلبنا أصل لفظة solilarite الفرنسية (وعليها تقاس
الإنجليزية والألمانية) أصبناه في لفظة solide . وإنما solide تعادل كلمة
مستين . وقد رأيت في مقدمة هذا المبحث أن تماسك الجماعة لا ينهض
إلا على اعتقاد أفرادها : وفي الاعتقاد متانة .

(٧) القيداني " أمثال " مصر ١٣٤٢ ج ١ ص ٥٤ .

(٨) " أساس البلاغة " ج ٢ ص ٢٨٦ ، السواد الأول تحت .

(٩) " لسان العرب " ج ١٢ ص ٢٧٧ تحت .

(١٠) " أساس البلاغة " ص ٤٠ .

(١١) " المصباح الكبير " ٨٨٤ .

(١٢) سو ١٤ آ ١٤ .

(١٣) سو ٢ آ ٢٥٥ ، ز سو ٢١ آ ٢٢ .

بعض المخطوطات العربية

(لاستخراج مصطلحات مختلفة)

في خريف سنة ١٩٣٤ بحثت في دار الكتب الوطنية في باريس
Bibliothèque Nationale عن المخطوطات العربية التي تبذل لنا
ما يعزّز أوضاع لغتنا أو يزيد في متنها .

وكانت عنايتي منصرفة إلى أمر المصطلحات الفنية والعلمية .
فوقع إلى نوعان من المخطوطات ، الأول : أن تنطوي المخطوطة على
المصطلحات مرتبة نحو انطواء المعجم على مفردات اللغة . وأما الثاني :
فأن تجري المصطلحات في ثنايا المخطوطة متفرقة . وهنا لا يقرب
منه الشك أن مخطوطات النوع الأول أدنى مثلاً وأتم فائدة ،
إذ تسوق إليك الألفاظ متتالية معرفة ، على حين أن مخطوطات
النوع الثاني فيها الإفاضة في فن من الفنون باستعمال مصطلحات عليك
استخراجها وتعيينها .

وإلى جانب هذه المخطوطات أصبحت طائفة أخرى في اللغة والمصطلحات .
 نرى أن أقول إلى أنظر هنا في المخطوطات التي لها شأن والتي لم تقطع
 بعد ، ولربما فالتنى أشياء في هذا الباب (١) .

معجمات المصطلحات

١ - " التوقيف على مهمات التعاريف " لعبد الرؤوف محمد ... النواوي
 هـ ١٠٣١ . رقم ٢٢٦٢ : ١٩٠ ورقة . (ط بروككن ١ ج ٢
 ص ٢١٦ ، ٣٠٧ : بروككن ٢ ج ٢ ص ٤١٧ .)

قال المؤلف في المقدمة : « قد وقفت على كتاب لبعض المتقدمين
 ملتب بالشرية إلى معرفة ما اصطلمت عليه الشريعة ، ذكر فيه
 تعاريف الألفاظ المتداولة على ألسنة حملة الشريعة المحتاج إليها

(١) إلى لا أذكر قياس المخطوطة ولا أطلب في وصفها ولا أعرش مؤلفها ولا
 كاتبها ولا تاريخها ولا نوع خطها ، إلا عند الحاجة ؛ وذلك لأني نجد كل
 هذا وما يتصل به في " فهرس " (دي سلاو) de Slano, Catalogue des
 manuscrits arabes, Paris 1883-05
 Catalogue des manuscrits arabes des nouvelles acquisitions,
 Paris 1925 . وأرقام المخطوطات في هذا البحث هي التي في ذلك الفهرسين
 (ولا سيما الأول ، وآخر أرقامه ٤٦٦٥) . ثم إلى رأيت أن أرجع القارئ
 إلى " تاريخ الآداب العربية " لبروككن Brockelmann, G. A. L. للمعارضة
 والوقوف على نسخ أخرى للمخطوطة وعلى ما كتب في شأنها . أما الضمة
 الأولى من " تاريخ الآداب العربية " المذكور (سنة ١٨٩٨ ي ي)
 فقد دلت عليها بقول : بروككن ١ ؛ وأما " تكملة " هذا الكتاب
 (سنة ١٩٣٧ ي ي) Suppl. فقد دلت عليها بقول : بروككن ٢ .

في العلوم الشرعية الثلاثة ولا يستغنى مفسر ولا محدث ولا فقيه عن معرفتها . ورأيت المؤلف العديم المثال الجرجاني قد انتقى من ذلك الكتاب تعريفات واصطلاحات ولم يستوعبه ولكن زاد من غيره قليلا . وألفت الإمام الراغب ألف كتاباً في تحقيق مفردات ألفاظ القرآن جمعت زبد هذه الكتب الثلاثة ووشحتها بقوايد اقتضتها من قاموس كتب غير مشهورة لا يطلع عليها كل أحد » .

المصطلحات مرتبة على حروف الهجاء . ولم أجد اسم المؤلف في فائمة الكتاب ولا خاتمه . إلا أني قرأت على الورقة الأولى : « توفيت لناوى . . . » ونعت هذا العنوان « فهرست . . . » والمصطلحات ذات شأن (٢) .

٢ - « كتاب السمات في أسماء النبات » لعز الدين أبي إسحق إبراهيم ابن محمد بن طرخان بن السويدي الأنصاري ص ٦٩٠ .

رقم ٣٠٠٤ : ٣٠٧ ورقة . (خط بروكسل ١ ج ١ ص ٤٩٣ .)
الأسماء مرتبة على الأبجدية . وبعض الألفاظ نظائرهما في اللاتينية واليونانية والعبرية . والمخطوطة من خط المؤلف نفسه . وقد زاد عليها وحذف منها . إلا أن الورقة الأولى والأخيرة مفقودتان .

٣ - غاية الإرشاد إلى معرفة أحكام الحيوان والنبات والجماد
لعبد الوصف محمد بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي المناوي الشافعي (وهو المذكور قبل رقم ١) .

(٢) والمؤلف نفسه معجم آخر بنفس عنوانه : « مفاهيم العلوم في المفردات والرسوم » وهو يعرف بمصطلحات ٢١ فها (خط بروكسل ١ ج ٢ ص ٢١٦) .

رقم ٢٧٦٨ (و ٢٧٦٩ ، نسخة أخرى) : ١٤٠ ورقة .
(ظ بروككن ١ ج ٢ ص ٣٠٧ .)

هو معجم للمعروف المذكورة ، مرتب على حروف الفباء ، بخط ابن المؤلف ، مع تعليقات المؤلف نفسه .

المخطوطات التي منها نستخرج المصطلحات

١ - " المقترح في المصطلح " محمد بن إسماعيل (بن) وداعة المعروف
بإبن البقال ٥ ٥٦٧ .

رقم ٤٦٣٩ : من الورقة ٥ إلى الورقة ٣٨ . (ظ بروككن
٢ ج ١ ص ٩٠٥ .)

في هذا الكتاب إثبات الألفاظ المستعملة في « روى البندق » (١) .

٢ - " مطالع العلوم (ومواقع النجوم ؟) " محمد أمين بن خير الله
الخطيب العمري ٥ ١٢٠٣ (١) .
رقم ٢٣٣٩ : ٢٠٥ ورقة .

هو دائرة معارف فيها من كل علم طرف (نحو وصرف وبلاغة ومنطق وجدل
وكلام ونحو وغيره) وفلك وعندهة وهبة وموسيقى . إلا أن الخطيب

٣ - " كتاب الخزون ، جامع الفنون " لابن أخى خزام (١) .
رقم ٢٨٢٤ : ٩٠ ورقة (و ٢٨٢٦ ، الجزء الثالث) .

(٢) وهو خلاف " المقترح في المصطلح " لابن منصور محمد البوي ٥ ٥٦٨ (خ
في مصطلحات الجدل . ظ بروككن ١ ج ١ ص ١٦٠) .

(٤) ليس على المخطوطة اسم مؤلف . ولعله ذلك الذي ذكره (ز بروككن ١ ج ٢
ص ٢٧٤ ، بروككن ٢ ج ٢ ص ٥٠١) .

نسخ هذا الكتاب سنة ٨٧٥ لأحد من خاصة الممالك (قائمت ياب ؟) ، وموضوعه .
من الحرب ، وفيه مصطلحات كثيرة وتراويق وأشكال . وبعض أوراقه مفقودة .
وفي بروكسن ١ ج ١ ص ٤٢٢ ي أن هذا الكتاب المخطوط — وعنوانه " معرفة
الري بالنشاب وآلات الحرب وأنواع وجوه الرمي وكيفيات شروطه وأحواله " — من
تأليف ناصر الدين أبي عبد الله ... بنعوب بن إسحاق بن أبي حزام من مكة الثالثة .

٤ — " حاوي اللباب من علم الحساب " لثقي الدين بن عز الدين
الحنبل ٨١٢ .

رقم ٢٤٦٩ : ٤٣ ورقة . (ظ بروكسن ٢ ج ٢ ص ١٥٦) .

٥ — " الرسالة الشرفية في النسب التأليفية " لصفي الدين عبد المؤمن
ابن قاتر الأرموي ٦٩٣ .

رقم ٢٤٧٩ : ٥٦ ورقة . (ظ بروكسن ٣ ج ٢ ص ٩٠٧) .

هو كتاب في الموسيقى جد نفيس . وقد نقل إلى اللغة الفرنسية على يد : البارون
ديرلانجي D'ERLANGER ونشر في باريس سنة ١٩٢٨ في مجموعة *La Musique Arabe* .

في اللغة

١ — " كتاب فيه جميع مختصر العين " لمحمد بن حسن الزبيدي ٣٧٩ .

رقم ٥٣٤٧ و ٥٣٩١ (نسختان) : الأولى ٣٩٦ ورقة ،

والثانية ١٤٩ ورقة . (ظ بروكسن ١ ج ١ ص ١٠٠) .

و العين هـ هذا " كتاب العين " للخليل بن أحمد ١٧٥ (٥) .

(٥) وقبل ثابت بن الطغر بن نصر بن سيار الحاراساني ، وكان تلميذاً للخليل

(ظ أساس ماري الكرملي " نشوء اللغة العربية ونموها واكتشافها ")

مصر ١٩٣٨ ص ١٨٨ .

٢ — "الإقليد في شرح المفصل" لأحمد بن محمود عمر الجندى
الأندلسى من اللغة الثامنة .

رقم ٤٠٠٣ : ٢٠٢ ورقة . (ظ بروكلى ٢ ج ١ ص ٩١٠ .)

و ٥ الفصل ٤ هنا "كتاب المفصل" للمختصرى ٥ ٢٨٨ .

في اللهجات

١ — "الدستور في اللغة" لأبى عبد الله الحسين بن إبراهيم بن أحمد
القطنيزى ٥ ٤٩٩ (وقيل ٤٩٧) .

رقم ٤٢٨٦ : ١٢٩ ورقة . (ظ بروكلى ١ ج ١ ص ٢٨٨ .)

بروكلى ٢ ج ١ ص ٥٠٥ .

هو معجم للألفاظ العربية الفصحى مع تفسيرها في الفارسية و ٥ العربية الباصرة ٥ .
إلا أن بعض صفحات المخطوطة غير سائبة .

٢ — "معجم فرنسى مع ما يردف ألقاظه في اللغة العامية السورية
(الخلبية خاصة) لميشيل أ. أ. ليرو MICHEL A. A. LE ROUX

رقم ٤٣٥٤ : ٧٣٦ صفحة^(٦) . وتاريخ المخطوط سنة ١٧٣٨

المسيحية وهو من خط المؤلف .

(٦) في كل صفحة ثلاثة أعمدة : الأولى للفظ الفرنسية ، والثاني للعربية ، والثالث
لرسم اللفظة العربية بالحروف الفرنسية .

ذيل

تلك هي بعض المخطوطات التي انتهت إلى دار الكتب الوطنية في باريس . وهناك مخطوطات أخر أصبحت في دار الكتب الوطنية في برلين Preussische Staatsbibliothek - سنة ١٩٣٥ . إلا أنني أعجلت عن إفائها حقها من البحث والمراجعة . وإني ذاكر لك بعضها على سبيل التمثيل^(٧) .

في مصطلحات الفلسفة

١ — " كتاب الجدل " تأليف الشيخ الإمام العالم ... شرف الإسلام شرف الدين أبي عبد الله بن إبراهيم بن عبد الواحد بن علي ابن سرور المقدسي الحنبلي ٨ بعد ٦٣٠ .

رقم ٥٣١٩ : من الورقة ١٧ إلى الورقة ٣٢ م . (ظ بروكسن ١ ج ١ ص ٣٩٨ ، بروكسن ٢ ج ١ ص ٦٩٠) .

٢ — " كتاب الحدود " تأليف الشيخ الإمام العالم ... شهاب الدين أحمد الشهير بابن الجندی من المئة الثامنة أو التاسعة (٩) .

رقم ٥٣٧٧ : من الورقة ١٢٩ إلى الورقة ١٥٦^(٨) .

هذه النسخة ، على ما يظهر ، غير كاملة : الكلام ينقطع في منتصف ص ١٤٦ من دون خاتمة (ورقة كاتب) .

(٧) أوراق المخطوطات من التي في : آخرون " فهرس المخطوطات العريضة ... "

. Ahlwardt, Arab. Hss.

(٨) هذان المخطوطان لدى مصوتين .

في مصطلحات الموسيقى

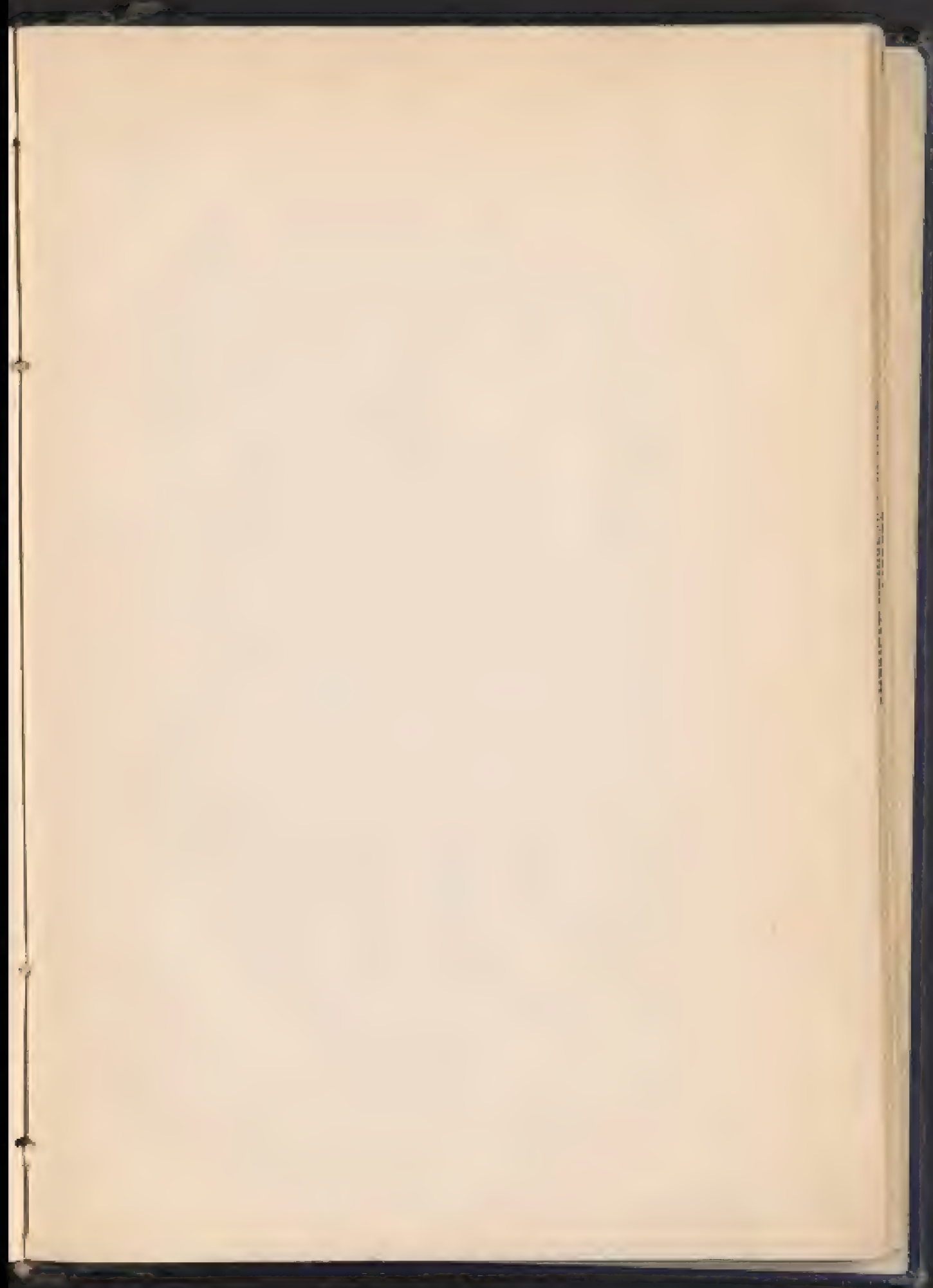
- ١ — "رسالة في السماع والرقص والصراخ واستماع إنشاد الشعر وغيره" للشيخ تقي الدين (أحمد بن تيمية) ج ٧٢٨ — رقم ٥٥٠٧ : من الورقة ٤١ إلى الورقة ٥٢ .
- ٢ — "كف الزعاع عن محرمات اللغو والسماع" لابن حجر الهيتمي المكي ج ٩٧٣ — رقم ٥٥١٧ : من الورقة الأولى إلى الورقة ٤١ .
- ٣ — "كتاب في أدوار الإيقاع" لمجهول — رقم ٥٥٣٢ : من الورقة ١٦٣ إلى الورقة ١٦٩ .

نظرت في هذه المخطوطات نظرة الطبع لا نظرة النسخ . وفائدة هذه المخطوطات أنها تبيّن مصطلحات وتذكر أسماء آلات :

أما المصطلحات فتتل "المزف" أي "آلات الطرب" (رقم ٥٥٠٧ من ٥٢ م) ، و "مجرد البناء" أي : البناء من غير مساوقة بالآلة (رقم ٥٥١٧ من ٤ م) . و "السد" (جمع "سدود") أي : الغبة ، نحو "عشاق" و "نوى" (رقم ٥٥٣٢ من ١٦٧) .

وأما أسماء الآلات فتتل "الصفاقين" و "الصنج" و "الجنك" و "الكعبة" و "السنطير" و "الدريج" (رقم ٥٥١٧ من ١٩ ، ٢٣ ي) .

كلى ذلك فضلا عما في هذه المخطوطات من الفائدة الموسيقية الصرفة .



لَحَقَّ الْكِتَابُ

١ - المسارد *

أ - مسرد المخطوطات

ب - مسرد الاصطلاحات والألفاظ الخاصة

ج - مسرد الاصطلاحات والألفاظ الخاصة لغیر اللغة العربية

٢ - المستدرك

أ - المضاف

ب - الفائت

* استعمل لفظة « السرد » (والجمع « مسارد ») إزاء كلمة index, register بدلاً من لفظة « الفهرس » السائرة على أقلام العلماء في مصر والشرق العربي، ليعين : الأول ، أنت الفهرس هو « الكتاب الذي تجتمع فيه الكتب » (« لسان العرب » ج ٨ ص ٤٨) ، فينظر إذن إلى لفظة catalogue . وأما السب الثاني فأن الفهرس أصبح من الألفاظ المشتركة ، إذ يستعمل الآن للدلالة على الكتاب الجامع للكتب ، وعلى مشتمل الكتاب أي مضمونه وموضوعاته Inhalt, table des matières, contents. ولما عرفت أن هذا الكتاب على جداول الألفاظ والأسماء وما إليها ، وترافق استعمل في هذا الكتاب لفظة « الفهرس » للدلول الأول ، ولفظة « المشتمل » للدلول الثاني ، ثم لفظة « السرد » للدلول الثالث .

و « السرد في اللغة : مقدمة شيء إلى شيء تأتي به متعاقباً بعده في إثر بعض متابهاً » (« لسان العرب » ج ٤ ص ١٩٥) .

المصدر :

١ - مسرد المخطوطات

- ١ - أثبت هذا المخطوطات المستند إليها في مختلف الباحث ما عدا البحث الثامن : " بعض المخطوطات العربية " ، وذلك لأن المخطوطات المدرجة فيه قريبة المال بما هو عليه من الترتيب مع فئة الصناعات .
- ٢ - الإشارة الأولى بالرقمين الكبير والصغير (رقم الصفحة ورقم السطر) ترجع إلى الموضع الذي به وصف المخطوط ، وسائر الإشارات ترجع إلى المواضع التي ذكر فيها .
- ٣ - دونك مسردين : الأول لأسامي المخطوطات ، والثاني لأسماء المؤلفين . وقد رتب أسامي المخطوطات على حروف المعجم ورفقتها على التالي من ١ إلى ١٩ . ثم رتب أسماء المؤلفين على حروف المعجم أيضاً ؛ إلا أن الأرقام التي تسبقها إنما ترجع إلى أرقام أسامي المخطوطات ، مثلاً : د ابن أبي الدنيا ٩٩ = هذا مؤلف المخطوط رقم ٩ وعنوانه : " مكارم الأخلاق " .

أسامي المخطوطات

- | | | |
|---|---|--------|
| ١ | " أدب الإملاء والاستعلاء " | تسدي |
| | ص ٤٢-١٧ | |
| ٢ | " رسالة في خلق الإنسان " | لمجهول |
| | ٢٤٦-٢٢ ٢٢-٢٣ ١٤٥-١٨ | |
| ٣ | " المعجزة الزرنبية في المسألة الزينية " (١) | تسدي |
| | ١٠٤-١٥ | |

(١) هذا المخطوط موجود في غير دار الكتب المصرية ، ط بروكلمن " تاريخ الآداب العربية " ج ٢ ص ١٥٠ ، كذلك " تكملة " Suppl. ج ٢ ص ١٨٦ (رقم ١١١) .

٤	كتاب الفتوة	الأردبيلي	١١٧٠	٢٢-١٥٦٦	١٦-١٥٦٠	٢٢-٢٠	١-١٥٩
٥	كتاب الفتوة	العلوي					
							١٦-١٥١
							١٦-٣٩
							١٦-٥١
٦	فصل في المروءة	المجهول					
							١١٥٩
							١٨-١٧٦٠
							٢١-١٩
							٢٢-٢١٦٢
٧	مرآة المروءات	لابن جعدويه					
							١-١٥٩
							٢٠-١٤
							٢٥٤٢
							١١-١٠٥٠
							١٢-١٣
							٢١-٥١
							٢-٧
							١٦-٢٢
							١٢
							١٢
٨	مكارم الأخلاق	المجهول					
							٢١-٣٣
٩	مكارم الأخلاق	لابن أبي الدنيا					
							٢٠-٣٢
							١٣٩
							١٣-١٠٤٠
							١٥٤٢
							٢٢
							١١-١٢٤٤
١٠	مكارم الأخلاق	المخزومي					
							٢٠-٤٦
							٦٦
							١٢-١٦٤٢
							١٠-٣٣
١١	مكارم الأخلاق	القيساوي					
							١٨-٣٣
١٢	مكارم الأخلاق	لابن الصباغ					
							٢١-٣٣
١٣	مكارم الأخلاق	لابن حبيب					
							٨-٣٤
١٤	مكارم الأخلاق	لابن عبد الرحمن					
							١٣-١١٣٤

١٥	"مكارم الأخلاق ومذامم الأخلاق"	البرقي
	١٣٤	
١٦	"مكارم الأخلاق وطيب الأعراق"	لابن بئين
	١٣٤	
١٧	"مكارم الأخلاق والسياسة"	القسري
	١٣٣ ١١٤٧ ١٤٨ ٥١	ط بعد "الضائف"
١٨	"مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب وبدائع الأوصاف وغرائب التشبيهات"	للمجهول
	١٣٣ ١٤٥٠ ٢٢٢٢ ٥١	١٣٠ ١١٥٩
	١٤٦٠ ١٤٦١ ٢٢٦٦	
١٩	"مكارم الخلاق لأهل مكارم الأخلاق"	لابن كنان الدمشقي
	٣٣ ٤٩	

أسماء المؤلفين (٥)

١٥	البرقي	٩	ابن أبي الدنيا
١٧	القسري	١٦	ابن بئين
٥	السلي	٧	ابن جعدويه
١	السماعي	١٣	ابن حبيب
٣	السيوطي	١٢	ابن الصبان
١٠	الطبراني	١٤	ابن عبد الرحمن
١١	نيسابوري	١٩	ابن كنان الدمشقي
		٤	الأردبيلي

(٣) المخطوطات رقم ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦ مفقودة كما تقدم من ٢٢ ي .

(٤) تقدم آتي نصرت المخطوط رقم ٦ وبعض المخطوطتين رقم ٤ و ١٨ .

(٥) ومن مختصرة ، وتجدما كاملة في المراجع — ط أيضاً "الفائت"

ب - مسرد الاصطلاحات والألفاظ الخاصة

الرقم الكبير يشير إلى الصفحة ، والصغير إلى السطر . وإذا كثرت ورود الكلمة أشرت إلى أول موضع ترد فيه ثم أضفت : كثيرا ، والمراد : كثيرا ما ترد .

الإلزامات ٧٢	ابتدأ اللفظ ص ٦٢
الأمثليات ١٠	... المعنى ١١٥-١٧
الأمثال العالية ١٢	الإبدال ١٥
الإمداد ٣١ ، ٩٣	الاتحاد (في المفهوم) ١١٨
الأمور الكلية العامة ١٣	الاتساع في القول ٣٦
الأمين ١١٤	الاحتمال ٥٧ ، ٩٤ ، ٩٥
الانفعال ١٢١ ، ١٠ ، ١١ ، ١٨	احتمال المعنى ١٠٠-١٢١
الانفعالية ١٢١	الأخلاقي (العالم) ، الأخلاقيون ٤٧
أن يفعل ١٢١	كثيرا
أهل اللسان ١٦	الأخلاقيات (علم) ٣٦ كثيرا
الأوضاع العربية ١٥	الأخلاقيات التقليدية ٣٦
الايقاع ١١٩	... العملية ٤٨
	... النظرية ٦٨
بذاتها ومن ذاتها ٩١	الأخلاقية (سنة) ٣٤ كثيرا
اليسيط ١٢	الاستطلاع ٧
البصيرة ٥٧ ، ١١٣	الاستغراق ٧٢
يعتدى (نسبة إلى يحد) ١١٠	الاستلزام ١١٦
بالفعل ٦٨ ، ٩١ ، ١١٦	الاشتباه ٨٧
بالقوة ٩١	إطلاق العام على الخاص ٩٧ ، ١١٦
بما هو ... هي ٧١ ، ٧٤	اعتبار الوقعات ٧٣

التعريف الحقيقي ٢٦٠	البناء الاجتماعي ٢٨٥ كثيرا
تعويض الضرر الأدبي ١١٣	البناء اللغوي ١٢١
التميز ١٥٤	
التفرد ٢٧٥ ١٢٠ كثيرا	التيمة ٢٨٢ ١٢٢
التقريب ٢٥٧	التجريد ٢٦٢ ٢٦٩
تقطيع الأصوات ١١٧	التحريف ١٥
التقليد ، التقاليد ١٥٦ ١٥٥ ١٩٠	التحقيق ١٢١
التقليدية (مف) ٣١	التحكم ١٥٩
تقييد المعنى ٩٨ ١١٠ ١١٦	التحليل النظري ١٤٨
التلحين ١١٧ ١١٨	التحول ٢٩٥
التماسك ٢٧٥ ١٢٠ كثيرا	التخصيص ١٥٤ ٢٦١
التماسك الحسي ١٨٠ ١٨٢	التخييل ١٢١ ٧٢ ٧٣
التماسك المعنوي ١٧٦ ١٧٧ ١٧٩	التدبير ١٥٨ ٢٥
التميز ٢٦٠	التدليل ٣٦
التناقض ٢٥	الترادف ١٠٠ ١٢٢ ، المترادف ٢٨٩
تهذيب الأخلاق ٣٦	الترتيب ١١٩
التواتر ١٢٣	الترسل ، الترسيل ١١٩
التوسع في القول ٢٢	التشريفات ١٠٥ ١١٣
	التشريفات ١١٣ ٢٢ كثيرا
التأثر الانفعالي ٨٢ ٨٣	التشجيع للآراء ١٣
التأثر الفعال ٨٢ ٨٣	التضامن ١٢٢ كثيرا
	التعاون ٢٤٨ ١٢٠
الجاه ١٩٠ ١١٦	التعريف ، التعريفات ٢٦٠ ٥٨
الحال الناشطة ١٠٠	كثيرا
	التعريف بمحض الذات ١٥٤ (١)

الذاتية (إطلاقاً) ١٢٠، ذاتي (أصل) ٥٤	الحال الواقعة ١٠٠
رد شرف ١١٣	الحالية ١٢١
الرياضات النفسانية ٥٤	الحدة ٩٤
السلوك ٥٦، ٦٧	الحديث : علته ، ضعفه ؛ صحيح ،
السياسة ٤٧، ٤٨	موضوع ؛ متصل ، منقطع ؛
سياسة النفس ٤٩	منقول على طريقة كذا ٩١، ٩٠
الشخصية ١٢٠	حرمة ١١٣
شرف المهنة ١١٤	الحسنيات ٩٥
(على) شرف فلان ١١٤	الحقيقة ٩٥، ٩٦
الشيخ ١١٤	الحكمة الخلقية ٣٦، ٦٩
الصفات اللازمة ٧٥، ١١٠	الحكمة الخلقية النظرية ٤٧، ٩٤
(جملة) صلات اجتماعية ٧٦	الخارجي ١١٢
الضمان ١٢٢	الخاص (إطلاقاً) ١٢
العام (إطلاقاً) ١٢	الخاصة (الألفاظ) ١٦، كثيراً
العرض ٥٣، كثيراً	الخاصية المجردة ٧١
العشير ٧٦	الخالق (المعنى ، الواقعة ، العادة)
العصبية ٨٤	١١٢، ٥٦، ١١٦، ٢١
العقل القلبي ١٢١	٧٣، كثيراً (٢)
علم الاجتماع ١٢٠	الخواص ٨٩، ١٧
علم الأخلاق ٣٦	درجة شرف ١١٤
علم السلوك النظري ٥٤، ٢	الذات ط : بذات ، التعريف بعض
	الذات ، من ذات

(٢) لفظة « الخلق » متصل بالوادي القوي ، ولفظة « الأخلاق » مادة الأخلاقيات أو علم الأخلاق .

علم الكلام ٨٦٨
علم الواقعات الخلقية ٥٦
العلم الوضعي ٢٧٣
العناصر الأصلية ١٥٤٨
العنصر اللازم ١٢-١٥٦
الغالب (المدلول) ١٠١
الفائت ١٣٣ ١٤٨
الفائض ٨٥٤
القوة ٣١ ٥٠ ٥١ ٨ ٩ ١١
٢٥٢ ٢ ٥٢ ٧٠ ٥ ٧١ ٨ ٩
الفردية ١٢٠ كثيرا
الفرض ١٢٢
الفروية ٥٢
الفعال ١٢١
الفعل ١٢١ ٨ ط : بالفعل
الفيروس ١٣٣ ١٨٩
الفهم ١٧٣
القاطغوريات ١١٢١
قبلي (رأى) ١٣ ١١٠ ١٩ ٢١
القبول ١١١ ١٢١
القرع ١١٨
القوانين الكلية ٢٨٤٨
قوى النفس ٨٤٨ ط : بالقوة
القوى الشهوانية ٩٤٨
القوى الفضية ٩-٨٤٨

القوى الناطقة ٨٤٨ ٢١
القيم ٦٥٤ ٦٥٥ ١٦ ١٧ ٢٧٢
... الأخلاقية ١٥١١٦
... المجردة ١٠٨ ٧٣
الكتب المتبررة ٢٤٣
الكفالة ١٢٢ ٢ ١٠
الكلامية ١٤٨
كلمة رمز ٥٧ ٧٣ ٢ ١٠٨ ١٣
١٥١١٦
الكليم الروايز ١٢٧١ ١١٣
الكم ٢٨٧
الكيف ٢٨٧
الكيفية ٦٠ ٢١٢١
الكيفيات الانفعالية ١٣١
اللبس ٨٩ ، اللبس ٩٣ ٢
لحق الكتاب ١٣٣
اللدونة ١٥٤ ٣١
اللطافة ١٥٤
ما ط : بما
المبدأ (إطلافاً) ٣٤ ١٠٢ ١١٠ ١٢
مبدأ اجتماعي ٧٣
... أخلاقي ١١٢
... دفع جذب الملازم ١٤٨
... دفع المتأخر ١٤٨
... الفكر ١٤٨

- ... معنى ٧٢
- المبدول (إطلاقاً) ١٢٧٣ ، مبدول
(أصل) ٥٤ ، واقعة ٥٦
- المثالة ١١٩ ، المثالي ١١٩ ، كثيراً
- المتعارف ٦٢
- المتكلم ، المتكلمون ٥٤ ، ٤٧
- المتكّن في الواقع ١٧٣
- التمييز ٨٩
- المترقّم (المعنى) ٧٣
- المجاز ٦٢ ، كثيراً
- المجاورة ١٠٥ ، ١١٥ ، ١١
- المجانسة ١٨٩ ، ٩٠ ، ٢٠
- المجرد ١٣
- المحسن ١٥٦
- المحموسات ١٧١٢
- مدة الصوت ١١٩
- المدرّك : الأخلاق ٧١ ، العام ٧٤
- ، الملتبس ٩٣ ، ٢
- المراسلة ١١٧ ، كثيراً ، المراسل
- ١١٩ ، كثيراً
- المركَّب (الرأى) ١٣ ، كثيراً
- المركَّب ١٢
- المسالك الوضعية ١٠
- المسانيد ٤٢ ، ٤٣ ، ٥٣
- المساوغة ١١٧ ، كثيراً
- المسرد ١٣٣ ، ٢٠ ، كثيراً
- المسلّات ١٢
- المشاهدة ١٢١٢
- المشترك (اللفظ) ١٢٢ ، ١٣٣
- المشتمل ٧ ، ١٣٣ ، ١٤١
- المضاف ١٣٣ ، ١٥٥
- المعارضة ١٥٥
- المنوية (إطلاقاً) ٦٥ ، ٦٧ ، ١١٢
- المنويات ٩٥
- الميتة ١١٨
- المفردة ٧١ ، ١٣ ، ١٠٨
- المفهوم ١١٨
- المقابلة ٧٢ ، ٩٨ ، ١٠١ ، ١٠٩ ، ١٢
- المقارنة ١١٨
- « المقامات والأحوال » ٤٩
- المقبولات ١٢
- المقولة ، المقولات ١٢١ ، ١٥
- المقيّد (المعنى) ١١٦ ، ١٢
- الموس ٧٦
- المهائلة ٧٣
- من ذي نفسه ٧٧
- من الخارج ٨٩ ، ١٥
- المنطق ١٠
- المنهج الوضعي ١١٠ ، ٢٠

المواضع ١١٧	... الخارجى ٤٢
الموضوعية (إحالة) ١٢، موضوعى	التقل ٧٣، ١١٦
(أصل) ٥٤ (بحث) ٧٤	تقل الحروف ١٥
نسب منتظمة ١١٧	يق ١١٣
نسب ٥٠	الواقعة ، الوقعات ٥٢ كثيرا
النظر (إحالة) ٧٣... المجرد ٥٦	... الخلقية المحنة ٥٦
النظري ٥٤ ٦٨	وصاف الشرف ١١٤
النم الحادى ٣٩، ٤١	وصيقات ... ١١٤
النمخ (فى الآلات) ١١٨	الوضى ٥٦، ١١٠
النفس الشهوانية ٤٧، ٢٢	الوم ٦٨، ٧٣
النفس النفسية ٤٧	يقعل ١٢١، ١٥
النفس الناطقة ٤٧	ينفعل ١٢١، ١٥
النقد الباطنى ٤٢	

تنبيه — أغفلت الألفاظ الخاصة بلغة القاموس ، الجارية فى البحث الأول : " ملحون فى فائدة " ، تشبوعها ، ثم المصطلحات الواردة فى البحث الثامن : " بعض المخطوطات العربية " ، لاتصالها بهذه المخطوطات وحدها ، ثم الألفاظ والتعابير المأخوذة ، لغتها .
الكثير من هذه الاصطلاحات والألفاظ الخاصة مما وُصفت أو مما تخيرت .
والقليل منها وارد فى النصوص النقبية . وبالرجعة يشتر هذا من ذلك .

ج - مسرد الاصطلاحات والألفاظ الخاصة

لغير اللغة العربية

(e) = الكلمة الإنجليزية . (d) = الكلمة ألمانية . والكلمة المرسومة
بالحرف المائل : لاتينية . وسائر الكلمات : فرنسية أو مختصصة .

accompagnement	117, 118	délicatesse	51
accompagnement (e)	117	demoiselles d'honneur	114
acte, en	91, 115	distinctions (agglomérations)	89
a priori	110	dommages et intérêts moraux	113
arbitrairement	46	donné, le	53
Begleitung (d)	117	dynamisme	121
bonnes mœurs	38	éminentes vertus	38
catégories	124	enquête	7
cérémonial	114	en tant que	51
chambellan	114	entendement	73
chevalerie	52, 71	entraide	48
citation	48	espèce humaine	48
communication	31	état dynamique	100
concept confus	93	état statique	100
contents (e)	133	ethics (e)	36
contribute	76	Ethik (d)	36
critique externe	42	éthique	36
critique interne	42	éthologue	55
dames d'honneur	114	fait	52, 56
définition essentielle	54	forme active	121
définition réelle	60	homogénéité	89
degree with honours (e)	114	honneur professionnel	114
dehors, du	89	honoris causa	115

index	433	personality (e)	120
individualism (e)	120	prénotion	110
individualisme	120, 121	prestige	116
Individualismus (d)	120	puissance, en	91
Individualismus (d)	120	qualités passives	121
individualité	120, 121	quotation (e)	18
individuality (e)	120	rapports sociaux, une somme de	76
Inhalt (d)	433	Register (d)	133
inquiry (e)	7	restriction, par voie de	97
intellect actif	121	science des faits moraux	56
Leitmotiv (d,...)	30	Sittenlehre (d)	36
lois universelles	48	asl. en soi et par soi	91
maids of honour	114	Solidarität (d)	120
maître des cérémonies	113	solidarité	120, 122, 123
mention honorable, avec	114	solidarity (e)	120
morale	36, 56	souplesse	54
moralité	56	subjectives (valeurs)	54
morphologie sociale	86	table des matières	133
mot symbole	73, 108	technical (e)	16
notion éthique	71	technique	16
objectives (valeurs)	54	tendance	121
obligations	72	tradition	56
particular (e)	16	transliteration (e,...)	15
passion	121	typique	16
passivité	121	usure sémantique	115
Persoenlichkeit (d)	120	valeurs	54
personnalité	120	virtues	72

١ - المضاف

ص ٣٣ (ج ٩) : أرشدني المستشرق الدكتور مايرهوف إلى تاريخ وفاة التسري . وهو : محمد بن أحمد بن عثمان التسري (الأصل) المدني أبو عبد الله شمس الدين . ٧٨٥ (ظ العقلائي " الدرر الكامنة ... " حيدرآباد الدکن ١٣٤٩ ج ٣ ص ٣٣٨ : ابن العماد " شذرات الذهب ... " مصر ١٣٥١ ج ٦ ص ٢٨٨ ي) . واطلع الدكتور شخصت ، أستاذ اللغات السامية في كلية الآداب جامعة فؤاد الأول ، على كتاب " مكارم الأخلاق والياسة " للتسري (وهو مخطوط) بعد تسري بحث " مكارم الأخلاق " بالفرنسية في رومة كما تقدم (ص ٣٦) . فأخبرني قال : « إن الذي في رأيي : ١ - الشك في أن عنوان الكتاب : " مكارم الأخلاق والياسة " ، وإن أثبت كذلك في صدر النسختين . والسبب أن كتاب النسخة رقم ١٣٥٣ قال في خاتمة الكتاب : تم كتاب مكارم الأخلاق والياسة والزهد وما أشبه ذلك ... ٢ - الشك في أن الكتاب للتسري ، وإن أثبت اسمه في صدر النسختين . والسبب أن التسري ذكر في ص ٢ من النسخة رقم ٩٩٤ و ص ٢ من النسخة رقم ١٣٥٣ على أنه صاحب " كتاب الأخلاق " . ٣ - الظاهر أن الكتاب تصنيف وجمع ، إذ فيه فصول من " كتاب الأخلاق " للتسري و " بداية الهداية " للغزالي و " سراج الملوك " للطبرطوشي . » وبهذا ، فسواء كان العنوان هذا أو غير هذا ، وسواء كان التسري صاحب المخطوط أو غيره ، فالحدث الذي استخرجه من " مكارم الأخلاق والياسة " إنما هو مثبت في المخطوط .

ص ٣٤ ص ٣٠ : ظ أيضاً : محمد صفي الدين الحيني العاملي " مناهل الأشواق في العقل والعلم ومكارم الأخلاق " صيدا ١٩٣٢ . وفي هذا الكتاب أن الظهير الخاص بالإنسان هو مكارم الأخلاق ، و « للدين الإسلامي قانون أساسي هو أساس مكارم الأخلاق » (ص ٣٢ ي) .

- ص ٤٧ (ج) ٤٦ : أيضاً : يحيى بن عدى (وهو مسيحي ع ٣٦٤
أو ٣٦٣) " تهذيب الأخلاق " مصر ١٩١٣ ص ١١ س ٧ : ز ص ٤٨ س ١٣ .
- ص ٦٧ (ج) ٣٨ : وتجد بيت بشار في : النويري " نهاية الأرب ... " .
- مصر ١٩٢٤ ج ٣ ص ٨٠ - ٦٠ (ج) ٣٩ : و " الأدب الكبير " الإسكندرية
١٩١٢ ص ١٢ - ٦٠ (ج) ٤٠ : ز " الأدب الصغير " في " رسائل البلغاء " .
- مصر ١٩١٣ ص ٥٣ : « والرجل الذي لا مروءة له يهان » ٦٠ (ج) ٤١ :
ز ذ رواية " رسائل البلغاء " ص ١٠٥ : « رقة شأن وخفة منزلة » .
- ص ٦٨ (ج) ٤٣ : ز ابن منقذ " لباب الآداب " ط أحمد محمد شاكر
مصر ١٩٣٥ ص ٢٢٨ ، ٢٣٤ : « اطلب الأدب فإنه دليل على المروءة » ،
« ولا مروءة لمن لا أدب له » .
- ص ٦٩ (ج) ٥١ ، ٥٠ : ز " الكثر المدفون والقلك المشعور " مصر ١٢٨٨ ص ٦٥ .
- ص ٧٢ س ١ : (... والفتوة) والدين والعقل : ط " الأدب الكبير " .
- في " رسائل البلغاء " ص ٦٠ س ٨ ، ص ٧٥ س ٤ ، ص ١٠٥ س ١٣ ؛
ابن خلدون " مقدمة " بيروت ١٩٠٠ ص ٣٠٥ : أيضاً قبل ص ٦٥ س ١١ .
- ثم ط " الأدب الصغير " في " رسائل البلغاء " ص ٥١ س ١٧ ، ز ص ٤٥ س ١١ :
" مرآة المروءات " الباب الخامس : أيضاً قبل ص ٦٦ س ١ - ٦٠ (ج)
٦٧ : ط ، حديثاً ، Ph. Hitti, *History of the Arabs*, London 1937 .
- ص ٢٥ ، ٩٥ خاصة .
- ص ٧٧ س ١٠ : ز بيت البراق في شعراء النصرانية ص ١٤١ ، ش ٤ .
- ص ٧٩ س ٩ : ... وتستكهم بها وانجذابهم إليها : ط أبيات البراق
في " شعراء النصرانية " ص ١٤٢ ، ش ١ - ٣ ، ز ، عند عرب اليوم ،
قول البدوي : « كل عشيرة تشاطر أفرادها الفرح والترح » (" خمسة
أعوام في شرق الأردن " ص ١١١ فوق) ٦٠ (ج) ٢١ : وعند قبيلة
" الروالة " في شمال الجزيرة لهذا العهد ، كل الحى " يطرد وينطرد " .
- (أى : أنه مجتمع على الهجوم والدفاع) : ط Muxil, *The Manners
and Customs of the Bedouins*, New York 1928 ص ٤٨٩ .

(القيلة « الرولة » ، في اللغة العربية . ط الرخاقي « ملوك العرب »
بيروت ١٩٢٩ ج ٢ ص ٥٥ س ١٠ ي ي ، ص ٥٦ س ٣ ي ي .)
ص ٨١ س ١٢ : ز قول البراق في شعراء النصرانية ص ١٤١ ، س ٦ .
ص ٨٢ س ٦ — ٩ : وعند « الرولة » التبعة على جميع أهل
القتل (The Manners... ص ٤٨٩) .

ص ٨٣ س ١٠ : هذا أمر عارض . والجاري في شرفي الأردن ،
كما جاء في خمسة أعوام ... أيضاً (ص ١١٠ ي) ، أن المدفوعين إلى النار
م أولاد القتل وأقرباؤه بل عشيرته كلها . ز عند « الرولة » : النار
واجب على جميع أهل القتل (The Manners... ص ٤٨٩) .

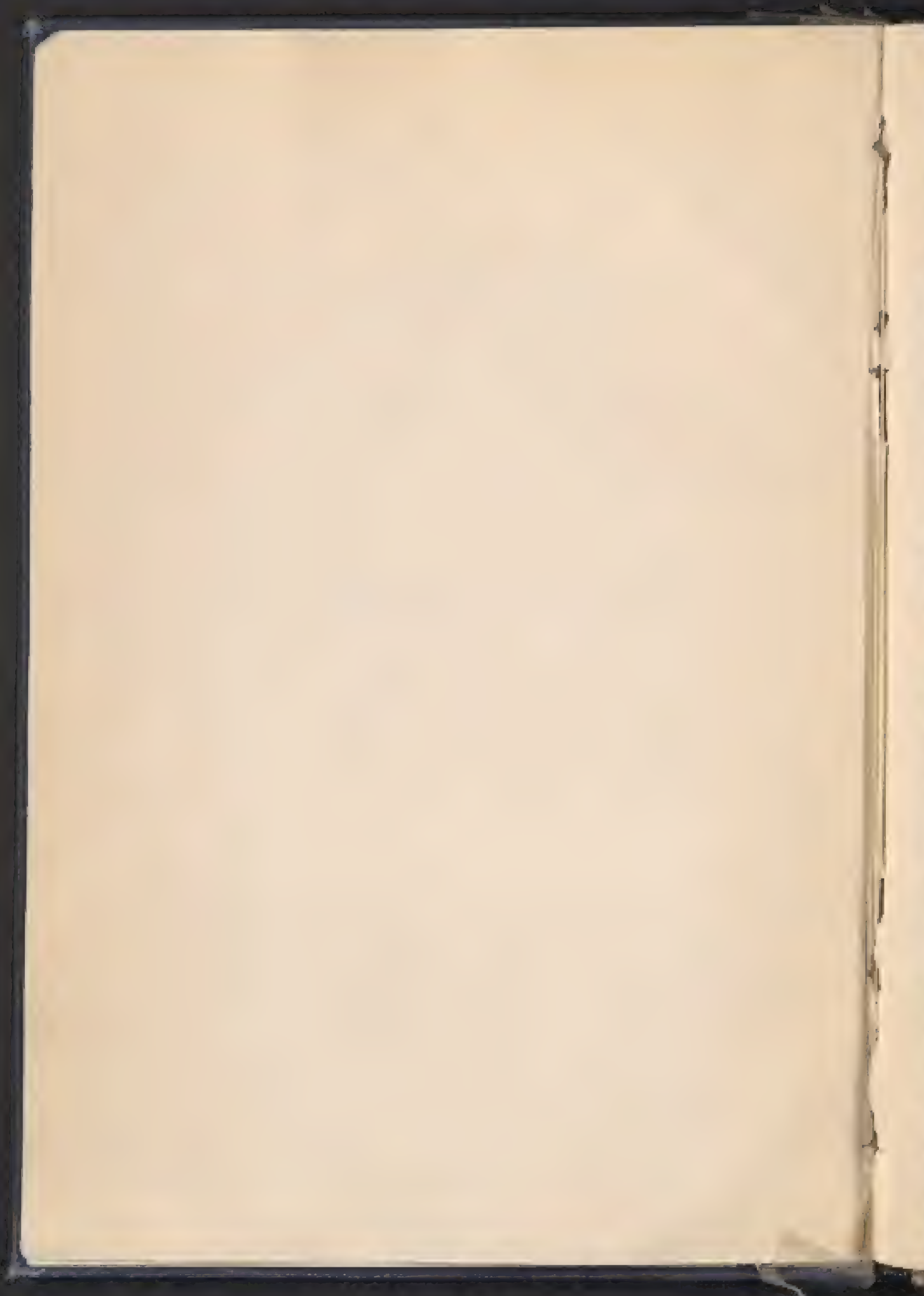
ص ٨٦ س ٤ ي ي : سرفت أكثر وجه الكلام إلى ترتيب
أنساب العرب بحسب مذهب الماوردي الذي اختاره في كتابه :
« الأحكام السلطانية » ، لأنه قصد التأليف في هذا الباب قصداً ، ولأن
هذا الترتيب إنما هو الذي دُوت عليه إثبات العرب في القسم الخاص
بالجيش من « الديوان » لعهد عمر ومن تبعه .

ص ٨٧ (ح) ١٤ ، ٩٢ (ح) ٣٤ : وعند « الرولة » ، القيلة
والعشيرة (و « البديلة » أيضاً) بمعنى . ويعبر عن الحى بلفظة « آل » ،
وكثيراً ما يستبدل بها « آل » المعروفة . وآل بمعنى « بنى » أو
« ابن » في الغالب . ولفظة آل فوق « الأهل » تحولاً في المعنى ،
وهي تضم أقارب الرجل . وأما تعبير « أهل البيت » فيدل على زوج
صاحب البيت أو امرأة أخيه (ويقال أيضاً : « راعية البيت ») .
ولفظ الأهل ، بمعنى الأهل ، يفيد جماعات معينة يضم بعضها إلى بعض دفاع
مشترك في الغالب . ثم : الجماعة والقوم بمعنى واحد على وجه التقريب ،
وهما البدو يسومهم سيد (The Manners... ص ٤٧ — ٥٠) .

ص ١٠١ (ح) ٤٢ ، ص ١٠٢ (ح) ٤٤ ، ٤٦ : وغير ذلك :
ورد : الترمذى « سنن » ، الترمذى « صحيح » : والاسان لكتاب .
ثم : الدارمي « سنن » ، الدارمي « مسند » : والاسان لكتاب .

ب - الفئات

ص	س	اقرأ	بدلاً من
٢٢	٢	بفتحة	الفاتحة
٢٨	١٤	شؤون	الشؤون
٢٢	٢٧	لأبي بكر عبد الله ... بن عبيد ...	لأبي بكر بن عبد الله ...
٢٢	٢١، ١٢، ١٥، ١٦، ٢١	٩٩٤ - ينالغ غرائب - ج ٥	٩٩٤ - بدائع غرائب - ج ١٧
٢٤	١٥، ١٤	١٩١١ - الجاحظ الحماسن والأشداد	١٣٣٠ - البيهقي الحماسن والساوي
٣٧	٢٣، ٢٢	العلاني - ص ٢٧	العلاني - ص ٢٢٧
٣٨	١٢	الخطوط - ص ٢٦، ٢٣	الخطوط - ص ٢
٤٦	٢٨	ج ٢ ص ٣١٢ ي	ج ٢ ص ٣١٢ ي
٤٩	١٨، ١٦	"مكارم الخلاق" - مصر ١٣٢٩ ج ٢	"مكارم الأخلاق" - ج ٢
٥٤	١٥	التعريف - بعض	التعريف - اللاحق
٥٩	٩	ميكائيل	ميخائيل
٦٥	١٥	ص ٥٨ تحت	ص ٥٩ فوق
٦٨	١٣	ز التضمن في ص ٢٥ س ١٥ ي	ص ٢٥ س ٤ ي تحت
٦٩	١٨	الفيرورايادي	الفيرورايادي
٧٠	١٢	"مرآة المروءات"	"مرآة المروءات"
٧٢	١٢	"مرآة المروءات"	"مرآة المروءات"
٨٠	١١، ١٠	ابن ملك - ابن الملك	ملك - الملك
١٠٢	١٨	١٩٠٢	١٩٠٠ ي
١٠٣	٢٥، ٢٤	ج ٥ ص ١١، ٢٠ - الإنجليزية	ص ١١ - ي الفرنسية
١٠٤	١٤	الزبئية ص ٧ ط	الزبئية ط
١١٥	٢٤	مصر ١٩٣٦، السنة ١٩٣٥	مصر ١٩٣٥
١٣٤	١٢	تأليفها	تأليفها
١٣٩	٢٣	الذات	الذات، من ذات



RISHER FARES

Docteur es-Lettres de l'Université de Paris

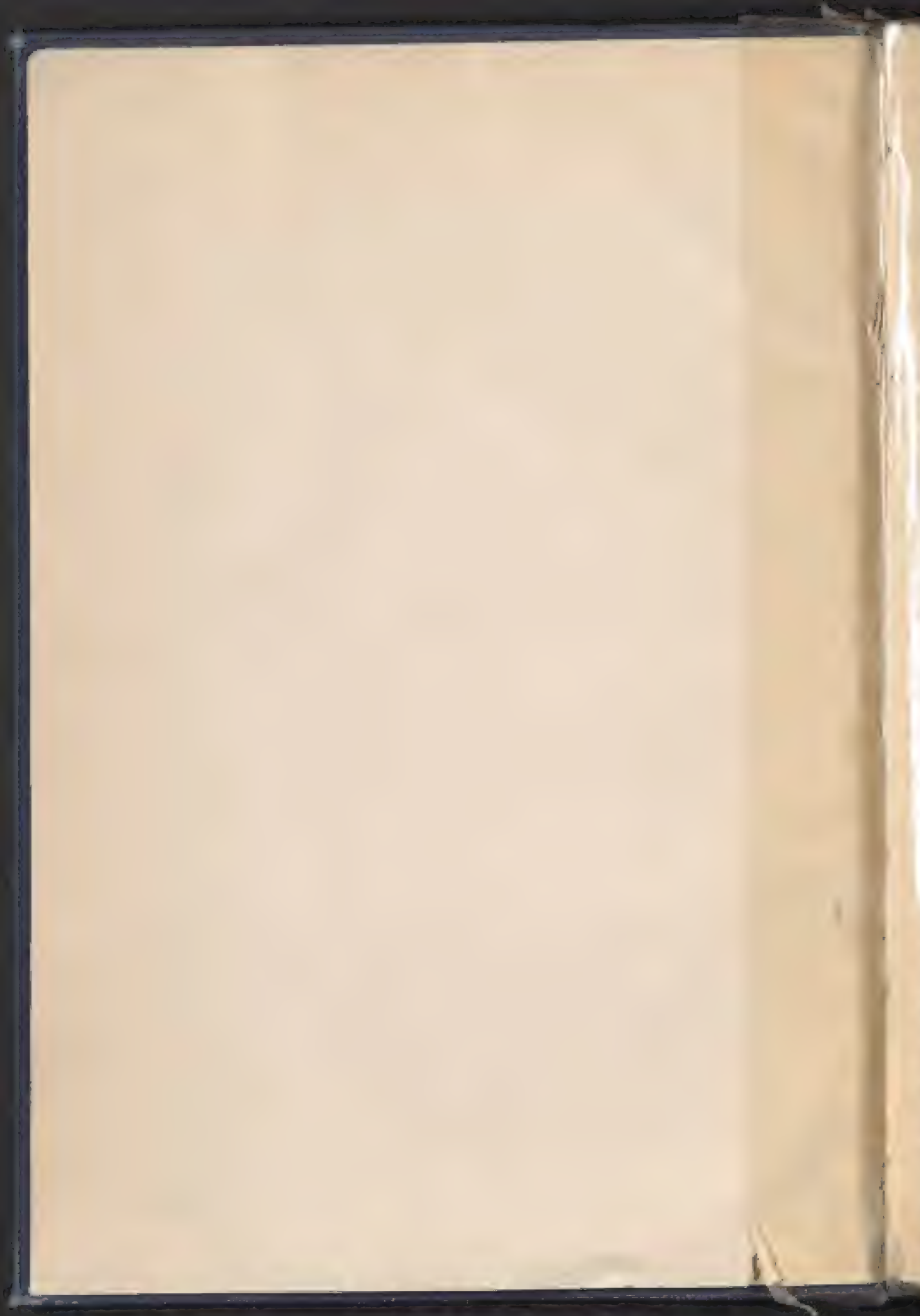
ÉTUDES ARABES

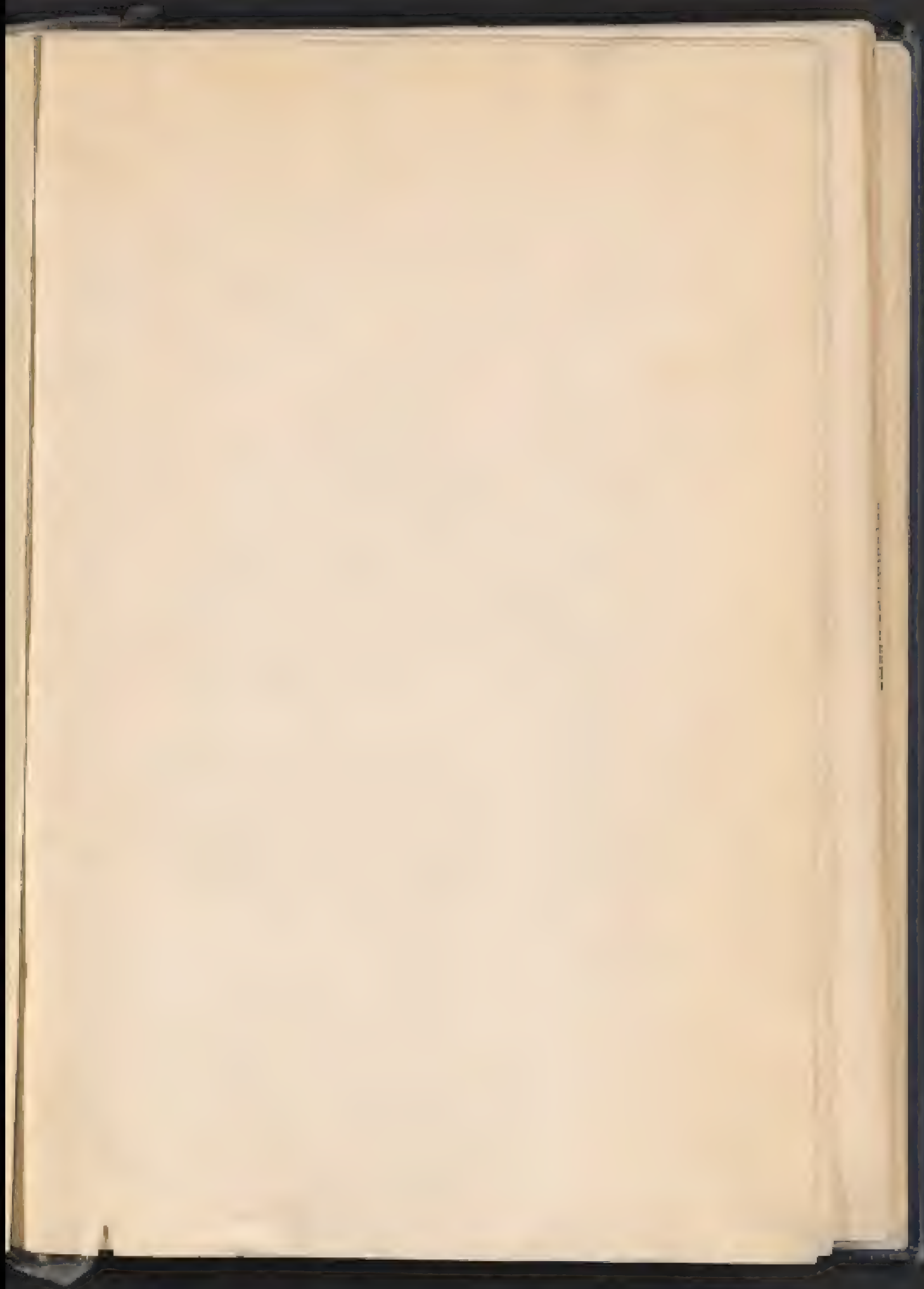
Sociologie et Linguistique

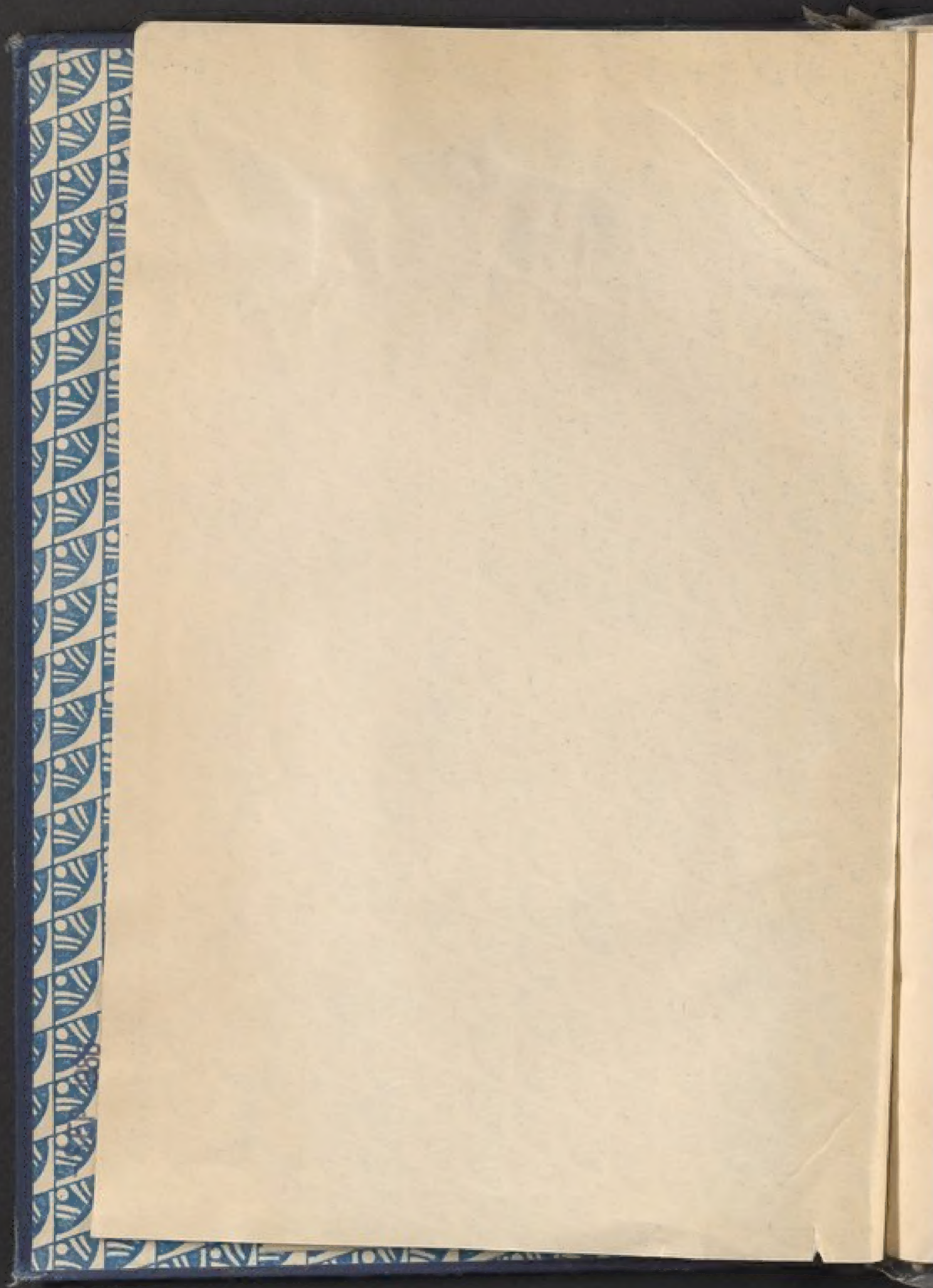
Éditions AL-MANAR

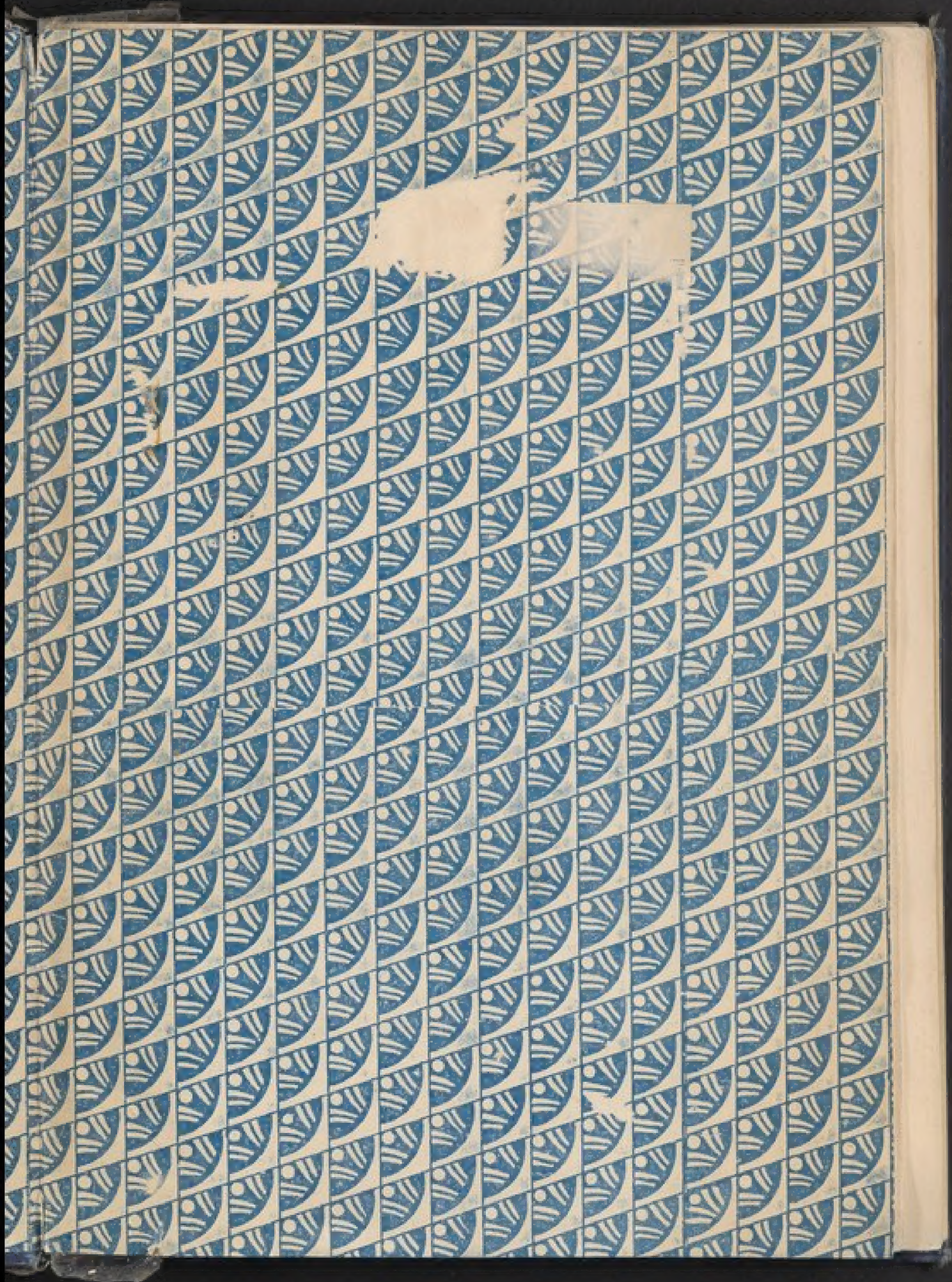
Le Caire

1959









AC
106
F34x
1939

DEC - 1973 5782

DS
57
.F37
1939